الإسلام والمجتمع

الإمام السيد موسى الصدر





الإسلام والمجتمع

الإمام السيد

موسى الصدر

الإسلام والمجتمع

مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

305.6

M985m

الصدر، موسى

الإسلام والمجتمع: محاضرات للإمام السيد موسى الصدر/ موسى الصدر.-
ط1.- بيروت: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، 2019

238 ص؛ 21.5 سم

ISBN 978-9953-0-5129-1

1. المجتمع الإسلامي أ. العنوان

الطبعة الأولى 2019

الناشر: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

بيروت، طريق المطار، مفرق الأوزاعي، قرب نادي الصداقة

مجمع الإمام السيد موسى الصدر الثقافي الاجتماعي، ط 1

هاتف 454521 1 961 + **فاكس** 454512 1 961 +

info@imamsadr.net

www.imamsadr.net

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ
عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة، 2]

صدق الله العظيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يرتكز مفهوم المجتمع الإسلاميّ على منهج متكامل مرجعيته قاعدة "لا إله إلّا الله"، ومع فقده لسِمات تميّزه عن باقي المجتمعات، تعدّدت قراءات التأخّر والانحراف من قِبَل الباحثين. والإمام الصدر في هذا الكتاب يرصد كيف ولماذا حدث هذا التأخر وأدّى بالتالي إلى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة الذي كانوا فيما مضى أسياده.

هذا الكتاب يتضمن نصوصًا ألقاها الإمام الصدر في محاضرات زمنية مختلفة عن خصوصية هذا المجتمع، والأسباب التي أدّت إلى تراجعه، وضمّنها تصوراته عن إمكانية إحياء المجتمع بركائز ثابتة تبدأ بالوحدة والتكافل والتعاون لخير الإنسانية. إلى هذه النصوص، أضاف المركز مخطوطة بقلم الإمام الصدر تحت عنوان "تأملات في بعض التعاليم الدينية" كان قد أعدّها كرؤوس أقلام لمحاضرة أمام الطلاب، وألحقنا معها النص المتوفّر لهذه المحاضرة إغناءً للكتاب. كما أورد المركز رسالة الإمام إلى فضيلة الشيخ حسن خالد (مفتي الجمهورية اللبنانية) للبحث في مسألة توحيد الشعائر الدينية وذلك في سبيل وحدة المسلمين.

وأخيرًا، الشكر لكلّ من ساهم وساعد في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور.

والله وليُّ التوفيق.

مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

2019

تأملات في بعض التعاليم الدينية

بسم الله

1- هل من حاجة لبقاء هذه التعاليم واستمرار التمسك والإيمان بها؟

2- إذًا، كيف نجمع بين هذا الإيمان بالغيبيات وبين التطور الذي يشمل جميع مناحي الحياة؟ وكيف نفهم بعض التعاليم التي تشبه الأساطير؟

وكيف ندرك مدى انطباق بعض التعاليم مع العقلانية والتجارب والدراسة الموجودة وبعض الأمثال؟

- نعم نحن بحاجة إلى الإيمان بهذه التعاليم لأنها الإطار الذي يحفظ إيماننا بالغيب بل ينمّيه.

- والإيمان بالغيب ضرورة في حياة الإنسان ولا يقوم مقامه أيّ شيء آخر.

- إن العلم والفلسفة والتكنيك وكلّ ما يصنعه الإنسان متطور، متكامل، متزلزل.

- ونحن بحاجة إلى الإيمان بالمطلق (وهذا ينحصر في غير المادة، الغيب) لكي نستقرّ ونطمئن ونبدأ مع اعتبار العلم والفلسفة وغيرها كآلات: نخلقها ونطوّرها و...

- هذا الإيمان الذي يشعرنا بأننا جزءٌ من الكون، من الإنسان، من الأزل والأبد، لا غرباء.

- المدارس المادية تحاول أن تجعل بديلًا عن الله. والأنظمة الغربية فرّغت محتوى الإيمان بوضع علاقات مكان التعاليم، فعاش الإنسان المعاصر قلقًا يشتد قلقه لسرعة تطور المادة.

1- نعم لأن هذا الإيمان يوفّر لنا....

2- والتطور هو المزيد من التفاعل بين الإنسان والكون.

- والدين هو تنظيم العلاقات حيث إنه من خالق الإنسان والكون

- والكلام الإلهي يُفهم على ضوء مستوى ثقافة المتكلم فهو كالكون لا حدّ لعمقه ولتجدده

- ونتيجة هذه الأمور الثلاثة أن التعمق في كلام الله يمكّن الإنسان من اكتساب علاقات متطورة مع الكون

3- وعلى هذا الأساس علينا أن نفهم هذه التعاليم بمفاهيم جديدة

ألف- خلق الإنسان (محادثات مع الملائكة، إنكار الملائكة، إصرار الله، تعليم الأسماء، سجود الملائكة رفض الشيطان، طرد الشيطان) إغواء الشيطان، ابتلاء الله الناس. (أولًا السبب؟ ثانيًا الواقع: الإنسان خليفة الله، ذو إرادة واختيار وهذا يعني الإحساس بالخير والشرّ، ووجود الخير والشرّ

وهذا معنى فهم الملائكة لإراقة الدماء والفساد، أما الملائكة فلا يملكون الإرادة لأنهم لا يتمكنون من الشرّ، ثم مكّن الله الإنسان من التعرف على كلّ شيء وبذلك سجد الملائكة

إن معرفة الشيء سبب تسخيره وتسخيره خضوعه وخضوع الملائكة، المدبرات أمرًا، سجودهم

جميع القوى خضعت دون إبليس رمز الشرور، إنه لا يخضع للإنسان لأن خضوعه تحويل الإنسان إلى الملائكة، تسيير الإنسان، إنه يقود رمزيًّا الشرور ولكنه لا يسيطر على عباد الله، الإنسان الصالح.

إن منطق الشيطان تفضيل الشرّ على الخير (أنا أفضل منه) الأنانية الحارة النارية مصيبة الإنسان. الأنانية، الجانب السلبي من دور الإنسان في الحياة والرغبة في القيام بدور الآخرين عليه أن يخضع لدوره ويحترم أدوار الآخرين (النار فاعلة) (والطين منفعل) أنا القائد.

الإنسان المخير يخسر بالشرّ، يرتفع بالعلم تسجد له القوى ويسيطر على كلّ شيء ولكن لا ينجو من خطر الأنانية... الانحراف ممكن دائم حتى آخر الطريق، والصراع يقوى.

عالم ذرّ...

فالصورة هي صورة الحقيقة. كتابة الحقيقة بلغة الدين التي يُفهم منها كلّ يوم شيئًا وهنا أبدي أسفي للسطحية التي تُعالج بها الأمور

4- القيد والتحرر: الإحساس بالمراقبة الذاتية الدائمة، الواجبات الدينية، المحرّمات، لا ننسى أن الدين للجميع ولجميع العصور فالتفسير يجب أن يُعطى لكلّ حسب فهمه.

أما نحن كإنسان حريّتي حريّة الإنسان (لا حريّة الانتحار) الإنسان الفرد جزء المجتمع والكون حريّته مع الاحتفاظ بالقاعدة وهذا يعني الإحساس بالمسؤوليات وهذا هو لا أكثر... مطلب الدين فهو يكلفنا بالعبادة لله وهذا نمو للكفاءات وللإنسان والمراقبة منع الهدر ولو في لحظة. وربط بين الماضي والحاضر وتحقيق جهدي... للإنسان الشامخ في مسؤوليته.

بالعكس الجهل والفساد (حريّة الجهل، حريّة المرض، حريّة الفقر) هذه هي القيود حيث إبقاء وتقييد وسجن الإنسان في دور الكفاءات دون التحول إلى [...]

5- للإنفاق-العطاء سورة الماعون اهتمام بمشاكل اجتماعية... درجات الفقر وتطوره... أعاده الله إلى خير خلقه

6-علاج جماعي



مخطوطة تأملات في بعض التعاليم الدينية

بسم الله

تأملات في بعض التعاليم الدينية :

1- هل من حاجة لبقاء هذه التعاليم واستمرار التمسك والايمان بها ؟ !

2- اذن كيف نجمع بين هذا الايمان بالغيبيات وبين التطور الذي يشمل جميع مناحي الحياة

وكيف نفهم بعض التعاليم التي تشبه الاساطير .

وكيف ندرك مدى انطباق بعض التعاليم مع العقلانية والتجارب والدراسة الموجودة

ببعض الامثال .

1- نعم نحن بحاجة الى الايمان بهذه التعاليم لانها الاطار الذي يحفظ ايماننا بالغيب بل ينميه

- والايمان بالغيب ضرورة في حياة الانسان ولا يقوم مقامه اي شئ آخر

- ان العلم والفلسفة والتكنيك وكل ما يصنعه الانسان متطور ، متكامل ، متزلزل

- ونحن بحاجة الى الايمان بالمطلق (وهذا يتحقق في غير المادة ، الغيب) لكي نستقر ونطمئن ونبدأ مع

اعتبار العلم والفلسفة وغيرها كآلات ، نحققها ونطورها .

- هذا الايمان الذي يشعرنا باننا جزء من الكون ، من الانسان ، من الازل والابد لا غرباء

- المذاهب المادية تحاول ان تحتل بديلا عن الله . والانظمة الغربية فرغت محتوى الايمان ووضع

علاقات مكان التعاليم فعاش الانسان المعاصر قلقا يشتد قلقه بسرعة تطور المادة

2- نعم لان هذا الايمان يوفر لنا ....

٢ - والتطور هو المزيد من التفاعل بين الانسان والكون .

- والدين هو تنظيم العلاقات حيث انه من خالق الانسان والكون

- والكلام الالهي يفهم على ضوء مستوى ثقافة المتكلم لان الكون لا حد للعمق والتجدد

- ونتيجة هذه الامور الثلاثة ان التعمق في كلام الله يمكن الانسان من اكتشاف علاقات متطورة مع الكون

٣ - [illegible] . مع هذا لابد علينا ان نفهم هذه التعاليم بمفاهيم جديدة

الف - خلق الانسان (محادثات مع الملائكة . انكار الملائكة ، اصرار الله ، تعليم الاسماء ، السجود للملائكة رفض الشيطان للسجود ، طرد الشيطان) اغواء الشيطان ، اشتباه الناس . (اولاً السبب؟ ثانياً الواقع :

الانسان خليفة الله ، ذو ارادة واختيار وهذا يعني الاحساس بالخير والشر ووجود الخير والشر وهذا يعني ان الملائكة لا ارادة لهم ولا اختيار ١ / الملائكة فلا يملكون الارادة لانهم لا يملكون من الشر

ثم تمكن الله الانسان من التعرف مع كل شيء وبذلك سجد الملائكة

ان معرفة الشيء سبب تسخيره وتسخيره خضوعه وخضوع الملائكة المدبرات امراً لسجودهم جميع القوى خضعت دون ابليس ، رمز الشرور ، انه لا يخضع للانسان لان خضوعه تحويل الانسان الى الملائكة ، تسيير الانسان ، انه يعود رمزاً للشرور ولكنه لا يسيطر على عباد الله ، الانسان الصالح .

ان منطق الشيطان تفضيل الشر على الخير (انا افضل منه) الانانية الحادة التي هي مصيبة الانسان . الانانية الجانب السلبي من دور الانسان في الحياة والرغبة في القيام بدور الاخرين عليه ان يخضع لدوره ويحترم ادوار الاخرين (انا رفعت) (او الطين مستعمل) انا القادر .

الانسان المتحضر يرتفع بالعلم ويتبدد الخوف ويسيطر على كل شيء ولكن ويكون خطر الانانية

الانحراف ممكن دائم حتى آخر الطريق والصراع يتجدد؟

فالى ذلك فطرة انسانية

فالصورة هي صورة الحقيقة . كتابة الحقيقة بلغة الدين التي يفهم بها كل قوم [illegible]

وهذا أدى إلى معنى للرسالة التي شاع بها الانبياء في نقل رسالة الله وردوده وتصرف بحكمة [illegible]

٤- التقييد والتحرر : الاحساس بالمراقبة الالهية الدائمة والواجبات [illegible] الحريات

لا يعني ان الدين يقيد ويحد من الحرية فالمعترض عليه ان يعطي لكل حسب [illegible]

اماكن كان ان ويبقى حرية الانسان (لا حرية الافكار) الانسان الفرد

جزء المجتمع والكون ويبقى مع الارتباط بالقاعدة وهذا يعني الاحساس بالمسؤوليات

وهذا هو الاكثر مطلب الدين اذ يطلق بالعبارة من وهذا كله للقدرات والانسان

والمراقبة من الله ولقربه . والربط بين الماضي والحاضر يتحقق بتحمل الانسان

مقام الانسان الشامخ في مسؤوليته .

بالعكس الكفر والالحاد (حرية التعبير وحرية الجزء وحرية التفكير) هو هي التقييد

حيث انقياد وتقصير ويمكن للانسان في دور الكفارات دون تحول اليها [illegible] (2)

٥- الدينامية - العطاء لصورة الكون اهتم بحركة المجتمع ودرجات التطور وتطوره

[illegible]

٦- علاج حيا

تأملات في التعاليم الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاجة إلى الدين

س: هل نحن بحاجة للتعاليم الدينية؟

ج: نعم، بطبيعة الحال لأنه "شغلتي" ولكن أحاول أن أفتح معكم الحوار، وأوضح لكم وجهة نظري: إننا في حاجة إلى التعاليم الدينية لأنها الإطار الذي يحافظ ويصون الإيمان بالغيب ونحن بحاجة إلى الإيمان بالغيب. اليوم نؤمن بالعلم الذي أوصل الإنسان إلى القمر والذي كشف جميع أسرار الوجود ولو بقيَ بعض الأسرار سوف تُكتشف فما حاجة الإنسان المعاصر إلى الغيب: سمِّه الإيمان بالله.

س: ما هو الغيب؟

ج: الغيب ضرورة في حياة الإنسان. الغيب صفاته: مطلق دائم، ثابت. شامل. خالد. بينما الشهود متحرك متطور ملموس وبالتعبير العلمي: نسبي.

س: ما حاجة الإنسان إلى الإيمان؟

ج: حاجة الإنسان إلى الإيمان بالمطلق وإن العلم والأنظمة والأخلاق كلّها إنتاج بشري لها طابع معين: هو التكامل: العلم في تكامل دائم. كلّ ما هو من صنع الإنسان في تكامل، والمتكامل متغير. كلّ إنتاج الإنسان متغير وبالتالي متزلزل. المطلق يعطي الإنسان صفة الاطمئنان: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} [الرعد، 28].

لو كان الدين متطورًا

س: ماذا عن نظرية التطور؟

ج: آمنا بالغيب وبالله فليكن. ماذا نعمل مع التطور؟ إنه التفاعل بين بطلين: الإنسان والكون. ومهمة الدين هي تنظيم العلاقات بين الإنسان والكون. كما أن الإنسان تعمَّق بصورة متزايدة في الكون يمكن أن يتعمق بصورة متزايدة في الدين لو كان الثلاثة (الدين، الإنسان، الكون) في مسرح واحد يتفاعلون لكان الوضع غير ما نحن فيه. لكن الدين تُرِكَ مجمَّدًا في متحف ولم يحاولوا أن يطوروا الفكر الديني وبقي في مستوى القرون الوسطى، بينما التطور وصل إلى القرن العشرين. لو كان الدين يُفهم بصورة متطورة لكان اليوم الوجه الجديد للدين يمكِّنه من تنظيم علاقات الإنسان مع الكون بصورة جديدة.

س: كيف نقف أمام القصص الأسطورية؟

ج: في المنطق الديني الملائكة هي قوى مجردة تسيِّر القوى الكونية. الملائكة مجبرة ومسيرة للأعمال والنشاطات. الإنسان في المنطق الديني مخيَّر. الإنسان المخيَّر علَّمه الله الأسماء، جعله يتمكن من معرفة كلّ شيء الإنسان أمام مجهوله عبد. بعد علم المجهول يصبح سيد المجهول. الإنسان عندما يعرف كلّ شيء تخضع له الملائكة. السيطرة على كلّ شيء هي سجود الملائكة. السجود أيّ نهاية الخضوع التامّ.

س: ما هو الشيطان؟

ج: هو رمز الشرور. وليس موجودًا خاصًّا، الشرور لم تخضع للإنسان. ولو خضعت الشرور للإنسان لأصبح مخيّرًا من الخير. عدم سجود الشيطان يعني عدم خضوع الشرور.
هذه الحادثة هي قصة حياة الإنسان على الكرة الأرضية. كلّ القوى الكونية تخضع ما عدا الشرور التي عُبِّرَ عنها بالشرّ... بدأ الإنسان لا يملك شيئًا ما عدا الخيار والتخير، بدأ من الصفر وسوف يصل إلى معرفة كلّ شيء. الإنسان لو تعمَّق في حياته الخاصة ووجد أنه مخيَّر ووجد أن صراعه مستمر بين الخير والشرّ لأسلم بقصة الخلق.

أسباب تأخر المسلمين وكيفية معالجته – 1–[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

في برامجنا الليلة وجدت أن هناك أسئلة تَرِد بخصوص المحاضرة، وأسئلة عامة حول مواضيع أخرى، وأسئلة تتأجل من أسبوع إلى أسبوع. فلدينا ثلاثة أنواع من الأسئلة فأصبح البرنامج عندنا مؤلف من أربعة أقسام:

القسم الأول، المحاضرة نصف ساعة؛ القسم الثاني، الأسئلة المتعلقة بالمحاضرة أيضًا نصف ساعة؛ القسم الثالث الأسئلة المؤجلة من الأسبوع الماضي أيضًا نصف ساعة؛ والقسم الرابع الأسئلة العامة الموجودة لدى مجموعة حول مواضيع أخرى تخصّ نشاطاتنا الاجتماعية وغير الاجتماعية من كلّ جانب، فهذه أربعة أقسام. ومع الاعتذار عن التأخير.

هناك موضوع آخر... هذه الحلقات الحقيقة أرجو أن تكون حلقات تدريس وليس حلقات محاضرة. المعني الأول في هذه اللقاءات الأشخاص الذين يريدون أن يتثقفوا ثقافة إسلامية أو يُثقفوا ثقافة إسلامية أيضًا، يعني الأشخاص الذين يستوعبون حتمًا الأبحاث ثم يناقشون، وليس المطلوب محاضرة عابرة عامة. أنا في لبنان منذ عشر سنوات إلى الآن قمتُ بأكثر من ألف وستمئة محاضرة، إضافة إلى المحاضرات التي عملناها على الصعيد العام، وإذا كان فيها فائدة فالله سبحانه وتعالى يقبل. هذه الحلقات ليست محاضرات، ولذلك لغتها أصعب والأفضلية للأشخاص الذين يستوعبون المحاضرات ويناقشون. وأعود وأقول، أرجو ألّا توفِّروا النقاش لأن النقاش مساعدة لي وللحاضرين في سبيل اكتمال هذه الحلقات، نتعاون حتى تكتمل المحاضرات. وأذكر لكم على سبيل المثل أنه بخصوص الحوار أنا تدربتُ حول الحوار في العاملية، لأنه كان لي سنة، ثلاث سنوات دروس في الكلية العاملية وكنت أجتمع مع الطلاب فيناقشوني وأناقشهم من دون رحمة، هذه الفترة

كانت حوالي السنتين أو أكثر... ساعدتني كثيرًا على معرفة المشاكل الاجتماعية والمشاكل الفكرية التي تراود نفوس الشباب. فالنقاش مفيد، لا ترحموني. لا تستحوا من الحاضرين رجالًا ونساء، أيّ نقاش وبأيّ عنف قولوا واطمئنوا بألّا يزعل أحد لأن السؤال والنقاش سبيلَي الكمال.

طيب، نحن الآن [الساعة] الثامنة إلّا خمسة حتى الثامنة والنصف حديثنا ومحاضرتنا في هذه الليلة موضوعها، حسب طلب الإخوان أو بعض الإخوان، "أسباب تأخر المسلمين وكيفية معالجة هذا التأخر". بطبيعة الحال حينما عرفنا أسباب التأخر بإمكاننا أن نبدأ من حيث انحرفنا.

هذا السؤال مهما حاولنا أن نجيب عنه ومهما سعينا في توضيح الأسباب والموجبات لهذا التأخر، فلا يمكننا أن نبرر الواقع، لأن الواقع المعاش أقسى بكثير من الأفكار. يعني أنا لو وفّقني الله وتمكنت أن أتحدث عن كلّ شيء، وعن كلّ سبب وأوضحت أسباب التأخر والتخلف أمام ألف دليل نحن لا نجد دليلًا أقسى من الواقع. فالواقع أوضح وأقسى من كلّ حديث، مع هذا الاعتراف ندخل في هذا البحث.

حينما نريد هذا البحث بإمكاننا أن نستعرضه بصور مختلفة: نحن نلاحظ أن العالم الإسلامي في جميع المناطق عربية كانت أو غير عربية، لا يعدّ العالم الإسلامي من البلاد المتقدمة بل تعدّ هذه المنطقة من العالم، بلاد متخلفة، أو بلاد بتعبير مهذب نامية، يعني في طور النمو. ودرجات التخلف فيها تختلف، بعض المناطق متخلفة أكثر من البعض الآخر، ولكن الطابع العام التخلف. ولذلك، حينما تريد البلاد المتقدمة أن تبعث سفراء أو مندوبين أو ممثلين يعطونهم إضافات بحجة أنهم يعيشون في البلاد المتخلفة التي ليس فيها وسائل الحياة.

حينما نستعرض [هذا] لا نجد تقريبًا بلدًا يعتبر من البلاد الكبرى، ولا من البلاد الصناعية، ولا من البلاد التي تصدِّر المواد الصناعية، ولا من البلاد التي يُستعان بها لأجل الخبراء. بينما نحن نجد هناك قسمًا من العالم المسيحي مثل أميركا وأوروبا متقدمين، وقسم من البلاد غير المتدينة مثل الاتحاد السوفياتي، مثل اليابان أيضًا من البلاد المتقدمة. فما هو السبب؟ هل المسؤولية يتحملها الإسلام في تخلف هذه المناطق، وفي عدم تخلف المناطق الأخرى؟ أم هناك أسباب أخرى؟ هذا هو السؤال المطروح؟

وطبعًا تفاصيل التخلف لا لزوم لنتحدث عنها: التخلف في الإنتاج، التخلف في مستوى الحياة، وحتى التخلف في الأخلاق، وأكثر من هذا حتى التخلف في ممارسة النشاطات الدينية. نترك التفاصيل التي تؤلمنا بطبيعة الحال وتجرح مشاعرنا، ونكتفي بأن الواقع غير ما أراد الله الذي أراد أن {لله العزة ولرسوله وللمؤمنين} [المنافقون، 8]، وهذا غير واقعنا.

أما البحث حول هذه المشكلة والجواب عنها ففي الحقيقة هناك عدة نقاط يجب أن نبحث فيها:

أولًا، ما هو معنى التقدم والتأخر؟ ما هو مقياس التقدم والتأخر؟ نأخذ المقياس ثم نلاحظ مَن المتقدم ومَن المتأخر، هذه النقطة الأولى في البحث. النقطة الثانية استعراض جغرافي وتاريخي للبلاد المتخلفة واقترانها بالمناطق الإسلامية، هل كلّ بلد إسلامي متخلف في العالم، وكلّ بلد غير إسلامي متقدم في العالم؟ في التاريخ هل كلّ مجتمع إسلامي كان متخلفًا وغير المجتمعات الإسلامية كان متقدمًا أو لا؟

هذه النقطة الثانية، الاستعراض الجغرافي في المناطق والاستعراض التاريخي في الماضي، النقطة الثالثة التحليل والبحث حول الموضوع وأسباب هذا التخلف بصورة إجمالية وبصورة تفصيلية. هذا منهاج بحثنا في هذه الليلة.

أما مقياس التقدم والتأخر، ما هو المقياس؟ من دون أن نفلسف كثيرًا ونتعمق كثيرًا، بإمكاننا أن نضع المقياس للتقدم والتأخر، ونلخص المقياس في كلمة واحدة هذه الكلمة هي الإنسانية. طالما أن المجتمع يتكون لأجل الإنسان، فكلّ مجتمع متقدم بإمكاننا أن نفسّره بالمجتمع الأكثر إنسانيةً والمجتمع المتخلف هو المجتمع الأقلّ إنسانيةً. هذا الذي نفهمه.

أما تقدم الصناعة، تقدم العلم، تقدم التنظيم، تقدم الأسلحة الفتاكة، كثرة البنايات، أناقة الملابس، كثرة السيارات، هذه الأمور كلّها طرق ووسائل للتقدم الإنساني. إذا افترضنا أن مجتمعًا ما كان يملك تقدمًا باهرًا في جميع الأمور في العلم والتكنيك والتنظيم ولكن هذا المجتمع على الصعيد الإنساني ما كان متقدمًا، لا يمكننا أن نعدّ هذا المجتمع مجتمعًا متقدمًا. المجتمع لماذا يتشكل؟ لخدمة الإنسان. فإذًا، لا يجب نحن في تحركنا [أن] ننسى الغاية، ننسى المقياس.

هذا المبدأ الذي أنا أذكره فإذا أحببتم أن تناقشوا هذه النقطة أيضًا أنا على الاستعداد. التفسير الذي أنا أفهمه من تقدم مجتمعٍ ما، هو التقدم الإنساني، هذا المقياس. فإذا كان هذا هو المقياس يجب

علينا أن نتعمق أكثر في واقع المجتمعات، ويجب علينا ألّا نغترّ بالمظاهر، ويجب علينا أن نفتش في الأعماق حتى نجد أن المجتمعات المسماة بالمجتمعات المتقدمة هل هي متقدمة أو لا؟ طبعًا هذا البحث لا يحلّ مشكلتنا، ولكن يخفف من ثقل المشكلة ومن تأثيرها الروحي العنيف على مشاعرنا وعلى أعصابنا على الصعيد الإنساني.

أنا أشكّ أو لا أقبل إطلاقًا أن أسمي الولايات المتحدة مثلًا، التي هي قمة التقدم في العالم بالمصطلح الحديث، أنا أشكّ أو أنكر تسمية الولايات المتحدة بالبلد المتقدم، لأن المقياس الذي وضعناه لا ينطبق مع الولايات المتحدة أو مع الاتحاد السوفياتي أو مع بريطانيا أو مع ألمانيا أو مع أيّ بلد آخر لا أقصد بذلك التركيز على بلد واحد أو اتجاه واحد في العالم ففي منطقنا الكفر ملة واحدة.

نحن إذا لاحظنا وتعمقنا في وضع هذه الدول، وعلى سبيل المثل الولايات المتحدة، هل تقدُّم الصناعة والتكنيك والتنظيم في الولايات المتحدة أدّى إلى التقدم الإنساني أو لا؟ يجب أن نلاحظ أن الإنسان مطلق. يعني حينما نقول تقدم الإنسان وتحسس الإنسان والإنسانية، لا نقصد الإنسان الخاص بإقليم أو الإنسان العنصر لأنه عند ذلك اعترفنا بتقدم العنصر أو الإقليم، ما اعترفنا بتقدم الإنسان. حينما نستعرض نجد في الولايات المتحدة مشاكل إنسانية أكثر من البلاد المسماة بالبلاد المتأخرة. مثلًا التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة، قد تقول إن القانون لا يفرّق في الولايات المتحدة بين الأبيض والأسود، أعتقد أن هذا أيضًا غير صحيح. القانون في بعض الولايات يفرّق بين الأبيض والأسود. لو افترضنا أن القانون لا يفرّق، يكفينا حجةً أن الشعب يفرّق بين الأبيض والأسود. فإذًا المجتمع مفرِّق. ما هو محتوى ومفهوم التفرقة بين الأبيض والأسود؟ عدم الاعتراف بإنسانية الإنسان، لماذا؟ لأن الإنسان لو كان مكرّمًا لما كان هناك فرق بين الأبيض والأسود. الإنسان الأبيض إذا كرّمناه يعني كرّمنا العنصر وليس الإنسان ككلّ، وإلّا إذا كرّمنا الإنسان ككلّ كان يجب ألّا نفرّق بين الأبيض والأسود. ومشكلة التفريق العنصري في الولايات المتحدة معروفة.

معاملة الولايات المتحدة مع الدول النامية أو الضعيفة أو البلاد المستعمرة أو البلاد الآسيوية والأفريقية، تنعكس تمامًا في فيتنام، في معاملتها معنا في الشرق الأوسط وموقفها من إسرائيل، في مواقفها مع أفريقيا ومع أميركا اللاتينية. ما الفرق بين الإنسان الأمريكي الذي يُكرَّم والإنسان الفيتنامي أو الأفريقي أو الأمريكي اللاتيني أو الإنسان العربي، الذي لا يُكرَّم. يتبين أن التكريم

للعنصر. هذا تمامًا مثل بعض القبائل العربية قبل الإسلام وفي أيام الجاهلية، القبائل التي كان يقال عنها أنها كريمة، تكرِّم الضيوف والحقيقة أن كرم القبائل - بعض القبائل- كان أنانيًا وما كان كرمًا، بدليل أن الضيف في بيت هذا الرجل كان مكرمًا. ولكن إذا خرج من هذا البيت، نفس صاحب البيت الذي كرّمه، كان يسرقه ويقتله. فإذًا، الإنسان المُكرَّم ليس خيمة هذا الرجل، بيت هذا الرجل، فهو يكرِّم نفسه، ويعتقد أن هذا الإنسان عندما يدخل بيته تشرف بمقام ضيافته، فيستحق التكريم، هذا ليس تكريم الإنسان.

موقف الولايات المتحدة تجاه الأموال والشركات واستثمار البشر، استثمار العمال وأمثال ذلك موقف معروف: الإنسان الأمريكي، هل يشعر بمشاعره بإنسانية عالية، بمستوى علمه أو بمستوى تكنيكه وتنظيمه، أو لا يشعر بذلك؟ المعروف أننا نشاهد في العالم موقفًا يختلف تمامًا عن هذه الدعوة. علمهم والتكنيك خاصتهم وصل إلى القمر، والتنظيمات الدقيقة عندهم وصلت إلى درجة شركة واحدة تدير مثل الساعة خمسة عشر مليون عامل بكلّ دقة... تنظيم هائل يعني، مكسب من مكاسب الحضارة الحديثة. ولكن هل الإنسانية تقدمت بنفس النسبة؟ أنا أشكّ في أن يكون جواب هذا السؤال إيجابيًا. وبصورة موجزة الحضارة المادية الحديثة في الأساس ما تمكنت أن تُسعد، وأن تخفف آلام الإنسان، وأن تعالج مشاكل الإنسان ككلّ. في الإنسان المتحضر الحديث مشاعر الإنسانية إذا نريد أن نعرفها نقف أمام واحدة واحدة من هذه الأوصاف.

هل الإنسان المتحضر يتألم بآلام الآخرين؟ الشعور الذي نحن في الشرق نشعر به، هل الإنسان المتحضر يرغب في الخدمة، خدمة الإنسان بعيدًا عن التعويض؟ هل الضمير الغربي المعاصر يتألم أمام الظلم في المناطق المختلفة في العالم؟ أنا أشكّ في هذا. وبهذا المقياس أيضًا أشكّ في تصنيف العالم إلى البلاد المتقدمة والمتأخرة. الشرق، على الرغم من أنه لا ينتج السيارات، ولا يعمل القنابل، وليس عنده تكنولوجيا أو تنظيم كما هو عند الغرب، ولكن على الأقلّ هناك بعض الأحاسيس الإنسانية: الشعور العائلي، الشعور بالضيافة، الشعور بالتعاون، التألم لآلام الآخرين، الإخلاص النسبي، الإيمان بالصدق. هذه الأوصاف قد تكون في الشرق أكثر من الغرب. هذا بحدّ ذاته بحث طويل نوقش من قبل بعض كبار الباحثين من جملتهم الباحث الإسلامي الكبير مالك بن نبي، يناقش الموضوع في كتاب باسم "شروط النهضة" ويحاول تقسيم العالم على ضوء الإنسانية، هذا بحث طرحته وما أكملته لأن مجرد هذا اللون من التفكير يخفف عنا ثقل المشكلة والاعتراض كما قلت.

يعني بإمكاننا أن نطالب الشخص الذي يصنفنا متخلفين، ويصنف الغرب بالمتقدمين عليه أن يثبت ذلك. مجرد كثرة السيارات والوصول للقمر ووجود المختبرات والتنظيمات، لا تدلّ على تقدم مجتمع على مجتمع آخر، هذه النقطة الأولى.

النقطة الثانية، استعراض تاريخي وجغرافي للمناطق الإسلامية وللتقدم والتأخر كما قلت. بموجب هذا الاستعراض أيضًا نتمكن من الشكّ في هذه الطريقة. كلّ بلد إسلامي متأخر في العالم، وكلّ بلد غير إسلامي متقدم. هذا أيضًا قابل للنقاش. الشيء الذي نحن نعرفه أنه في العالم مناطق مختلفة وبأشكال مختلفة، متقدمة ومتأخرة، لا ترتبط بنوعية الدين وعدم التدين. هناك بلاد مسيحية متقدمة هناك بلاد مسيحية متخلفة، مثل الحبشة التي كانت مسيحية قبل أوروبا هناك بلاد غير مؤمنة بالله متقدمة، وهناك مئات البلاد غير مؤمنة بالله، متأخرة. موجود [هذا] في مختلف المناطق في العالم.

على الصعيد التاريخي، نحن حينما نستعرض المجتمعات والتجارب الإنسانية المختلفة، لا نملك إلّا أن نعترف أن هناك مناطق ومجتمعات إسلامية كانت في منتهى التقدم، في تاريخنا، إلى حوالي القرن الخامس الهجري. نحن نجد في المجتمعات الإسلامية تقدمًا هائلًا، والذي يريد أن يطّلع على تفاصيل هذا الموضوع عليه أن ينظر إلى الكتب المؤلفة في هذا الخصوص سواء كان كتاب "حضارة العرب" لغستاف لوبون أو "تاريخ التمدن الإسلامي" للأستاذ جرجي زيدان أو "مختصر تاريخ العرب" للسيد أمير عليّ الهندي.

أنا أستعرض هذه الكتب حتى الذي يحبّ أن يطّلع على هذه الكتب يطالع، لأنه لا يمكن أن تُناقش جميع هذه المسائل في حلقات. المفروض أن الإخوان أيضًا يطالعون الموضوع، والذي يدرس هذا الشيء يستخرج نتيجة أن المجتمعات الإسلامية كانت في منتهى التقدم علميًا وتكنيكيًا وتنظيميًا، وكانت في منتهى التقدم إنسانيًا أيضًا.

أذكر لكم بعض الأمثلة: العلوم الحديثة إلى حدّ كبير أُسسها وُضعت في المجتمعات الإسلامية. الكيمياء، علم الكيمياء، أذكر بعض الأمثلة فقط لأن هذا أيضًا بحث طويل، علم الكيمياء، من تأسيس المسلمين. الكيمياء في الفلسفة اليونانية كان نوعًا من الفلسفة، يعني رأي ونظرية تعتقد بأن كلّ شيء يمكن تحويله إلى كلّ شيء، والذي كان من نتائجه محاولة لتحويل الحديد إلى الذهب. هذا كان فلسفة عندهم يعني أساس كلّ الموجودات واحد، فيمكن تحويل كلّ شيء إلى كلّ شيء

فلنحوّل الحديد إلى الذهب هذه كانت فلسفة. أما تحويل كيمياء الفلسفة إلى علم الـ chimie الذي هو من العلوم هذا من شغل المسلمين ومن إنتاج المجتمعات الإسلامية. الجبر، الجراحة، خريطة العالم، البوصلة، اكتشاف الدورة الدموية، قوانين النور، انكسارات النور، انعطافات النور ومئات من الاكتشافات العلمية من إنتاج المسلمين ومن إنتاج المجتمعات الإسلامية. وعلى الصعيد الحضاري قبل ألف ومئتي سنة كان في الشام، دمشق، نظام توزيع المياه، نهر بردى كان ينقسم إلى أربعة أقسام في أربع برك كبيرة في أربع مناطق حول دمشق؛ فكانت المياه تدخل في كلّ بيت بقناية مسدودة ومياه لأجل تنظيف البيوت. يعني نظام المياه الذي هو من آثار الحضارة الحديثة كان موجودًا في الشام. كيفية بناء البيوت، كيفية الزراعة، استعمال المستشفيات المسماة ببيمارستان وأمثال ذلك من الموجبات والآثار الحضارية للمجتمعات كانت موجودة. الأرض المصرية، بعد دخول المسلمين فيها حسب بعض الأرقام والمسجلة في كتب الإنتاج القومي في مصر خلال عشر سنوات بعد الفتح الإسلامي بلغ عشرة أضعاف لا مثيل له في التاريخ. هناك دراسة عن العراق في القرن الرابع الهجري لعبد العزيز الدوري عميد جامعة بغداد كتاب مطروح قائم بإمكان من يريد أن يطلع على هذا الكتاب. الاستعمار ما كان موجودًا في الفتوحات الإسلامية، يعني الجيش الإسلامي كان يدخل بلدًا ويدعوهم إلى الإسلام فإذا أسلموا يسلِّم إليهم الحكم، وإذا ما أسلموا يبقى حاكمًا. أما الإنتاج وأما الأرباح وأما الغلّات، فما كانت تُنقل إلى خزينة بريطانيا وبقية الدول المستعمرة، كانت تبقى في نفس البلد. السيطرة ما كانت سيطرة سياسية اقتصادية؛ أيّ بلد يُعرض عليه النظام فينظم دون استعمار ودون فرض شيء. الجزية ما كانت أكثر من الضرائب التي كان يعطيها المسلمين لحكومتهم. الحضارة الإسلامية كانت حضارة إنسانية وهذا أيضًا بحث طويل.

وفي هذا الوقت أوروبا كانت تعيش في أوضاع متخلفة ومتدهورة حتى إذا تنكر قادة الحضارة الحديثة للدين في أوروبا، بدأوا بتأسيس الحضارة المادية الحديثة.

فإذًا، تتلخص النقطة الثانية في البحث التالي استعراض المناطق جغرافيًا وتاريخيًا في العالم لا يثبت هذا المدعى أن البلاد الإسلامية متخلفة. كثير من المناطق الإسلامية والمجتمعات الإسلامية كانت متقدمة ونحن في مقياس العلم والتجربة، لا فرق عندنا بين التجارب السابقة والتجارب الحديثة. التجربة تجربة متى حصلت، هذه النقطة الثانية.

أما النقطة الثالثة وهو سبب تخلّف المسلمين فأذكر في جوابه بصورة موجزة نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى النقطة التفصيلية، والنقطة الثانية النقطة الإجمالية يعني التلخيص. وفي هذه الليلة أذكر النقطة الثانية حتى نبحث في التفاصيل في الأسبوع القادم بإذن الله.

الإسلام ككلّ مدرسة فكرية إنسانية تعتمد في الدرجة الأولى على تربية الإنسان، ولا يمكن تربية الإنسان وصيانة إنسانية الإنسان إلّا عندما يتوفّر للإنسان مجتمع إنساني. يعني إذا نريد أن نربي الإنسان وأن نجعل الإنسان متقدمًا، علينا أن نربيه، ثم نكوّن له جوًّا صالحًا لصيانة هذه الإنسانية. ولذلك الإسلام - وكلّ فكرة إنسانية- يهتمّ بتربية الفرد وبتشكيل الجماعة. الإسلام حينما أراد أن يربي الإنسان في مكة كان دور الإسلام دورًا تحضيريًا، كان يحضِّر القادة. في المدينة الإسلام شكَّل مجتمعًا إسلاميًا، ولماذا؟ لأجل صيانة الفرد. لأنك عندما تربي فردًا عليك أن تحافظ على تربيته بأن تصونه عن طريق خلق مجتمع إنساني. وإلّا فالإنسان المتقدم الأكثر إنسانية حينما يُترك في مجتمع غير إنساني، يذوب وينهار. الإنسان موجود مدني بالطبع، الإنسان جزء من المجتمع، ولا يمكن أن يبقى الإنسان صالحًا في مجتمع غير صالح.

وعلى هذا الأساس اعتمد الإسلام في بدء أمره على مهمتين رئيسيتين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مهمة الرسالة، يعني إبلاغ دعوة الله ورسالة الله إلى الناس، ومهمة الولاية يعني تكليف رسول الله بتأمين مجتمع صالح، حسب الآية الكريمة: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب، 6]. ولذلك استلم رسول الله الحكم في المدينة حتى ينفِّذ إسلامه أو بتعبيرنا المعاصر ثورته، لأن الإسلام تغيير في جميع أسس الفكر البشري والعمل البشري قبل الإسلام. تغيير في الرؤية، وتغيير في العقيدة، وتغيير في العمل، وتغيير في الأخلاق، الأركان الأربعة. فما كان يمكن أن يبقى الإنسان الجاهلي إنسانًا مسلمًا متكاملًا إذا ما حفظنا له وأمنّا له مجتمعًا إسلاميًا صالحًا، المجتمع الذي يجعل الكفاءات تنمو، ويصون طاقات الخير ويشرِّد الشرور ويحافظ على الحقوق والعدالة. تأثير المجتمع على الفرد تأثيرٌ واضح اليوم لا يناقش... شيء واضح.

فالإسلام وضع أسسًا لتربية الفرد وأساسًا لتكوين المجتمع. هذا المجتمع اشتغل فيه الرسول الأكرم عشر سنوات، ثم كُلِّف بإعطاء هذا الدور إلى عليّ بن أبي طالب، هذا الذي نسميه الولاية. فكان من المفترض أن يكون هناك استمرار لبناء المجتمع الإسلامي، لأن الإنسان المسلم الذي تربّى كان إنسانًا جديدًا في العالم وهو وحده يتحدى العالم والعالم يتحداه، فكان بحاجة إلى مجتمع يصونه.

هذا المجتمع أُخِذ منه فأصبح في بعض القرون المتأخرة أصبحت الخلافة ملكًا، وأموال الأمة أموال الملك، والوظيفة الدفاعية أصبحت وسيلة الارتزاق، والمحاكمات القانونية أصبحت محاكمات كيفية وأمثال ذلك. المجتمع الإسلامي أُخذ من الإنسان المسلم فانهار. عاش فترة من الزمن واستمر بقوّة الاستمرار، ولكن بعد ذلك انهار.

كلمة موجزة هذا الجواب الثاني لو كان يُكتب للإسلام بقاء لكان يجب أن يبقى المجتمع الإسلامي إلى جانب الإنسان المسلم، ولكن المجتمع الإسلامي سُلب من الإنسان المسلم، فبقي الإنسان المسلم مدة يمشي بقوة الاستمرار ثم سقط في صحاري التاريخ والقرون وانهار. فالمشكلة تقف عند هذه النقطة أساسًا، ساعة ما أُخذ المجتمع الإسلامي من الإسلام بدأ السقوط والتدهور في الإنسان المسلم هذا الجواب الإجمالي الموجز وهناك جواب تفصيلي نتحدث فيه في الأسبوع القادم. هذا كان حديثي.

والآن نصف ساعة للأسئلة.

ما من شكّ أن الأسئلة كثيرة، والرغبة في الجواب كبيرة أيضًا، طبعًا هذه الأسئلة الكثيرة إذا استمرت الحلقات إن شاء الله سيكون مجال الجواب عن جميعها تدريجيًا، يعني أن نتمكن من استيعاب جميع الأسئلة في ليلة أو ليلتين من الصعب.

س: لو اعتمدنا التقدم الإنساني كمقياس لتقييم التقدم، وأهملنا التقدم المادي، ألا ترون معي أننا نكون أقلّ فاعلية في المجتمع، وهل المحاضرات الألف والستمئة التي نقدرها أكثر فاعليةً من مشروع المؤسسة الاجتماعية في صور وهو نتيجة تقدم مادي مثلًا؟

ج: الجواب أنني موافق بأن الإنسان بحاجة إلى تقدم مادي أيضًا وأنا حينما طعنت في تقدم المجتمع الغربي ما قصدت أن أتنكر لتأثير التقدم العلمي والصناعي والتنظيمي، بل ذكرت إذا تذكرون أن العلم والصناعة والتكنيك مكاسب حضارية تصبح إنسانية إذا كانت طريقًا للتقدم الإنساني. لا يمكن لنا أن نتنكر لجسم الإنسان ولدنيا الإنسان وللمادة. الإنسان جسم وروح، والجسم والروح ليسا منفصلين حتى نتمكن من تأمين السعادة لواحد منهما ونتجاهل الآخر، شيئان مقترنان، لا يمكن سعادة الروح دون إسعاد الجسد ولا العكس.

وإذا تذكرون في الأسبوع الماضي حول مفهوم الغيبية الإسلامية ذكرنا أن الغيبية في الإسلام مقترنة مع الشهود، يعني لا يمكن للإنسان أن يكون متقدمًا إذا كان متأخرًا في الحقل المادي، كما أنه لا يمكن أن يكون الإنسان متقدمًا إذا كان متأخرًا في الحقل المعنوي. فالإنسانية تقوم على أساس الجزأين والشرطين والركنين معًا، وأيضًا إذا يذكر السائل أنا تحدثت أن التقدم الإنساني في المجتمعات الإسلامية ذكرت أمثلة من الإنتاج العلمي والنشاط الحضاري والتقدم المادي في الإنتاج القومي وأمثال ذلك.

فأنا موافق بأننا إذا أهملنا التقدم المادي مجتمعنا أقلّ فاعليةً، حتى أكثر من هذا مجتمعنا أقلّ إنسانيةً. لا يمكن التقدم الإنساني إلّا بالتقدم المادي، هذا المبدأ العام. فأنا موافق مع السؤال، لكن أصححه بهذه الطريقة بأن التقدم الإنساني هو المقياس الوحيد، ولكن التقدم الإنساني يعني التقدم في الحقل الأخلاقي والروحي والنفسي سمِّه ما شئت، والتقدم المادي أيضًا. كِلا الجانبين أو جميع الجوانب. هذا بالنسبة إلى الأول.

المحاضرات الألف والستمئة أقلّ فاعلية من مشروع المؤسسة هذا تقديره بيد المستقبل. إذا كانت هذه المحاضرات كوَّنت تحركًا إنسانيًا، فإنسان واحد يعادل الكون كلّه وليس المؤسسة في الجنوب. المؤسسة في الجنوب شرفها أن تربي إنسانًا أو أكثر من إنسان، فإذا كانت المحاضرات خلقت موجة من التفكير الإنساني عند شخصٍ واحد لكفانا شرفًا، مبدأنا يقول لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغرُبت. الإنسان هو المتحرك الوحيد والمحرك الوحيد للتاريخ.

هذا هو إذا أردنا أن نقيّم المحاضرات، كم أعطت إنسانية للإنسان والمؤسسة كم ستعطي إنسانية للإنسان، نرجو أن تكونا معًا أعطتا بعض الشيء ولو شخصًا واحدًا، هذا السؤال.

س: السؤال الثاني، إن مفهوم التقدم هو نسبي من مجتمعٍ لآخر وما يُفهم بأنه إنساني في مجتمع، في مجتمعٍ ما قد يُفهم بأنه لاإنساني في مجتمع آخر، فكيف نستطيع أن نحكم أن هذا المجتمع متقدم وذاك متأخر انطلاقًا من هذه القاعدة؟ نحن نعلم أن العالم الإسلامي كان متقدمًا يوم كان للعرب مخترعين وعلماء في جميع المجالات ونؤكد أن العرب قد أصبحوا متأخرين في اللحظة التي اصطبغ فيها الحبر بماء النيل ومن اللحظة التي بدأ منها حرق مكتبة بغداد زمن هولاكو. نحن تأخرنا، اليوم أصبحنا جهلاء يوم ابتعدنا عن العلم واعتكفنا فقط في زوايا المساجد وكفّرنا جميع المعلمين المتعلمين، من يومها تأخرنا وتقدم غيرنا.

ج: سؤال جميل، أما توضيح هذا السؤال، إذا قلنا إن العالم الإسلامي أنتج... بطبيعة الحال كان نتيجة مجتمعه لا نتمكن أن نقول عندما توقفوا عن الاختراعات المجتمع تأخر. المجتمع تأخر فتوقفوا عن الاختراعات، لأن المخترع لا يتمكن أن يخترع ويبتكر ويوفِّر ويفكر دون أن يتوفّر له مجتمعًا صالحًا. في الأساس المجتمع هو الذي ينمي ويخلق ويصون ويحمي المخترعين والمبتكرين، وليس المبتكرون عزموا على الابتكار ثم انصرفوا عن الابتكار فصار المجتمع متخلفًا.

البحث عن التقدم نسبي أو مطلق هذا أيضًا نقطة أساسية يجب أن نفكر فيها. فيما يعود إلى كلمتي أنا كلّ محاولتي كانت الشكّ في تقدم مجتمعٍ وتأخر مجتمع، يعني قلت إن وجود السيارات، وناطحات السحاب، وإطلاق الصواريخ، ووصول الإنسان إلى القمر، ووجود المؤسسات وشركات تشتمل على خمسة عشر مليون عامل هذا ليس دليلًا على التقدم، التقدم يكتمل ويتم ويوجد إذا وُجِدت هذه الأمور في خدمة الإنسان، هذا كان الحديث. بطبيعة الحال مع هذا التعبير لا يرتفع شكّنا حول تقدم المجتمع الغربي وتأخر البلاد الإسلامية، شكّنا يبقى كما هو. أما أصل الموضوع هل التقدم أمر نسبي أو لا؟ هذا البحث الذي نريد أن نتحدث فيه بعض الشيء.

في الحقيقة لماذا نحن نكوِّن المجتمع؟ لماذا الإنسان في الأساس كوَّن مجتمعًا؟ الإنسان كوَّن المجتمع حتى يسعد الإنسان وبنفس الوقت مارس حاجةً ذاتيةً عنده، الحاجة الذاتية عند الإنسان ما هي؟ لماذا الإنسان يشعر بحاجةٍ إلى تكوين مجتمع؟ السبب ثلاثة أشياء حسب مفهومي:

أولًا، الإنسان [...]

أسباب تأخر المسلمين وكيفية معالجته – 2-[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

[...] نتيجة للسبب الحقيقي، فهذا غير المطلوب. مثلًا إذا قلنا إن سبب تأخر المسلمين هو عدم إقبالهم على العلم، وعدم خوضهم للأجواء العلمية، فإنهم كانوا يومًا ما قادة العلم والحضارة في العالم، واستعرضنا بعض منتجاتهم ومكاسبهم العلمية الحضارية نقول إنهم تركوا النشاط العلمي فتأخروا، يأتي السؤال من جديد، لماذا تركوا النشاط العلمي؟

نرجع لنفتش عمّاذا دها المسلمين الذين كانوا يشتغلون في الحقل العلمي، ووضعوا خريطة العالم، وصنعوا البوصلة، واكتشفوا قوانين النور، وأسسوا علم الكيمياء، وسائر المجالات العلمية؟

نقول كما ورد في بعض الأسئلة، إنهم تركوا ذلك فتأخروا. السبب يبقى كما هو لماذا تركوا؟ ما السبب في تأخرهم، وتركهم الخوض في المجالات العلمية؟
بعض الأسئلة يتهم المسلمين بأنهم تكاسلوا، والحقيقة أن هذا أيضًا شيء صحيح. فالإسلام الذي كان يدعو للعمل الدائم الدائب ويقول الرسول الأكرم (عليه الصلاة والسلام): ولو أن عبدًا مؤمنًا قامت قيامته وبيده غرسة لغرسها قبل أن يموت. يعني الإنسان المؤمن، الفلاح المؤمن، بيده غرسة وهو في الحقل جاءه الأجل، الإنسان العادي، بطبيعة الحال يستسلم للموت، فيمدّ رجليه نحو القبلة ويئن، ويطلب أهله، ويحزن على موته وأمثال ذلك. الرسول الأكرم يأبى ذلك للمسلم فيقول إن هذا الرجل كان عليه في هذه اللحظة الحرجة الباقية من الحياة أن يغرس هذه الغرسة ويموت، بأيّ شكل كان... غير مهم، أنه على أيّ جنب كان في الله مضجعي، مثلما يقول الشعر، كان يجب أن يغرس. يعني هذه اللحظة الأخيرة من حياته يجب أن تتحول إلى حياة أخرى، إلى خلود، إلى غرس شجرة.
والإسلام الذي يقول العبادة سبعون جزءًا [من] أفضلها العمل، ويعتبر أن العمل، أيّ عمل: الزرع،

التجارة، البناء، عبادة... لا يجب للشخص أن يفكر في النتائج والأرباح والمكاسب. العمل بحدّ ذاته مقدس في الإسلام. وقد بلغ الحديث الشريف القمة حينما قال: كُنْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، يعني تؤسس الأمور لا كما فسَّروه سابقًا، أن تهمل الدنيا (وماشي الحال) لأنك باقٍ ولاحقًا تتمكن من التسويف. لا، كُنْ لدنياك كأنك... اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، يعني ضعْ شؤون الحياة ومخطط الحياة وأسلوب العمران في الحياة كأنك تعيش أبدًا. يعني ضعْ المخططات كأنك تريد أن تعيش دائمًا. هكذا ضَعْ الأمور... يعني شغل دائم، وجِدّ دائم. هذا الإسلام الذي كان قطعة من الحركة والحيوية والحياة والنشاط، تحول إلى الكسل واللامبالاة بالشغل، والدنيا ما لها اعتبار، خلِّ الدنيا للفسَّاق والفجَّار. هذا سبب التأخر.

نرجع نسأل لماذا صاروا هكذا؟ لماذا الإسلام، الذي كان قطعة من الحركة والحياة، تحول إلى الإسلام الكسول؟

السؤال باقٍ، هذا ليس جوابًا كما يريد بعض الأسئلة الموجهة أن يوجّهني بأنه هذا السبب. لماذا قال اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، تحوَّل مفهومه من المفهوم الحقيقي الذي هو الشغل الدائم الدائب إلى هذا المفهوم الإهمالي أنه لا بأس كما نعرف مثلًا أحيانًا نسمع بعض الناس يفسر الحديث الشريف يقول كُنْ... اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، يعني: لا تبالي... غدًا تعمل... بعد غدٍ تعمل، حتى مفهوم الحديث تحول وانحرف، لماذا السؤال باقٍ لا نستطيع أن نجيب عن المشكلة بهذه الأجوبة.

جانب آخر من المشكلة، المرأة التي هي نصف المجتمع، المجتمع الذي يشتغل فيه الرجل والمرأة، والمجتمع الذي يشتغل فيه الرجل فحسب، بطبيعة الحال إنتاج الأول ضعف الإنتاج الثاني. والمرأة في أول الإسلام كانت تشتغل على الرغم من ضيق مجال الحياة، - أين تشتغل وكيف تشتغل هذا بحث آخر- تحولت إلى عنصر مُعطَّل في حياة المسلمين، وفي المجتمع الإسلامي. بطبيعة الحال، دفعة واحدة، حذفنا من حساب البناء نصف العوامل البنَّاءة، هذا السبب. السؤال يعود: لماذا المرأة التي كانت عنصرًا عاملًا في بناء المجتمع أُهملت، وبقيت جاهلة، وما تعلَّمت، وما شاركت، وتجنبت الخوض في المعارك الحياتية... لماذا تحولت المرأة؟ السؤال باقٍ.

جانب آخر من المشكلة، المسلمون كانوا يتصرفون بصدق وإخلاص. وحينما نقول الصدق، لا نقصد الصدق في الكلام فقط بل الصدق في الوعد، الصدق في التعبير، الصدق في العمل. فلان صادق في قوله، يعني لا يكذب؛ فلان صادق في وعده، يعني ينفِّذ الوعد ولا يخلف؛ فلان صادق في

عمله، يعني يتقن عمله ولا يقلل ولا ينقِّص ولا يهمل. والصدق أساس الإصلاح، صريح القرآن الكريم: {يا آيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم} [الأحزاب، 70-71]، انتبهوا لهذا الترابط، {قولوا قولًا سديدًا * يصلح لكم أعمالكم}. يصلح بالجزم يعني جزاء، يعني إذا كان قولكم سديدًا، فأعمالكم صحيحة، أو بتعبير أدقّ، القول السديد يوصلكم إلى العمل الصالح. بينما اليوم المسلمون فقدوا السداد في القول: يُسلِّم فيكذب، يجامل ويكذب، يوعد فيخلف، يعمل فلا يتقن. الصدق في العمل راح، لا صدق في العمل ولا صدق في الوعد، ولا صدق في القول بطبيعة الحال عندما لا يوجد صدق في القول، العمل أيضًا ينهار.

المعروف أن رجلًا سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: أنا مبتلىً بمعاصٍ كثيرة فعلِّمني تجنب معصية واحدة لأني لا أطيق ترك جميع المعاصي؟ فقال الرسول (عليه الصلاة والسلام) له: لا تكذب. فهذا نوى على عدم الكذب، ولكن شاهد أن عدم الكذب ينتهي إلى جميع النشاطات الأخرى؛ لأنه يريد أن يعمل عملًا مخالفًا، فكّر أنه غدًا إذا سألني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه هل عملت الشيء الفلاني أو لا، إذا أردت أن أصدق أستحي وإذا أردت أن أكذب مخالف لأمره، فبدون هذا العمل. والحقيقة أن الصدق في العمل، الصدق في القول، مصدر لجميع الخيرات، لأن الإنسان الذي يكذب أو يجامل، هذا الإنسان لا يُحترم قوله، لا تُحترم شهادته، لا تُحترم كتابته. والقول والشهادة والكتابة جزءًا مني، أليس كذلك؟ لأن هذه الكلمة التي تصدر من لساني، هذه عصارة من طاقاتي؛ طاقاتي الجسدية، طاقاتي الفكرية تتفجر وتتحول بصورة الكلمة، أليس كذلك؟ هذا حتى من الناحية العلمية هذا صحيح. أيّ حركة تصدر من الإنسان، هذه الحركة، حركة اليد ما هي إلّا ذرّات من الجسد تتحول إلى حركات، فأيُّ حركة نتيجة جزء مني. فالكلمة طاقة مادية وطاقة فكرية مقترنة، يعني مع كلّ كلمة أستهلك أنا جزءًا من جسدي وجزءًا من نفسي. فالذي لا يحترم كلمته، قوله، هذا لا يحترم نفسه. وهذا من مصادر البلاء لأنه نحن حينما نقول، نعِدْ ولا نفي، نقول ولا نصدق، نشهد... حوَّلنا الحقائق، لأن مقياس التلاقي - كما قلت في الليلة الأولى- ووسيلة الحوار والتعاون الكلمة. إذا ما كنت صادقًا، أصبح بناء المجتمع مهزوزًا ومزيفًا.

الصدق في الكلام أساس من أسس الإصلاح، إذا قلنا إن سبب تأخر المسلمين أنهم فقدوا الصدق في الكلام، والصدق في الوعد، والصدق في العمل، نرجع نسعى ونسأل: أنه حسنًا، لماذا المسلمون فقدوا الصدق في الكلام؟ يرجع السؤال ذاته.

ذكرتُ هذه النقاط تمهيدًا لبعض الأجوبة، حتى أؤكد بأنه نحن نفتش عن السبب الرئيسي للمشكلة. ما

هو الذي جعل المسلمين يتركون العمل الدائم ويتكاسلون؟ ما هو السبب الرئيسي لأن ترك المسلمون العلم؟ ما هو السبب لخروج المرأة عن مسرح بناء المجتمعات عند المسلمين؟ ما هو السبب لترك صدق الكلمة والوعد والعمل عند المسلمين؟ ما هو السبب؟

هناك من يقول في الأسئلة: الاستعمار. أنا أتصور [أن] الاستعمار أثّر كثيرًا في مجتمعنا، وأخّر كثيرًا تقدمنا وهدم كثيرًا من ثرواتنا المادية والمعنوية، وضعَّف كثيرًا من معنوياتنا... كلّه صحيح! لكن ما الذي جاء بالاستعمار لبلادنا؟ كيف تمكّن الاستعمار أن يسيطر علينا؟ لو ما كان عندنا نقص، لو ما كان يجد الاستعمار داخل مجتمعنا مكانًا لوضع قدمه لما كنّا نُستعمر. فالسؤال يعود أيضًا بقسوته: فإذًا، علينا أن نفتش في السبب. السبب الرئيسي الذي كان وراء كلّ هذه الأسباب والأغصان والفروع للمشكلة.

نحن نعيش والآن أمامنا ألف سبب للهدم وللتخلّف، ما هو السبب الأصلي للتخلّف والهدم؟ هذه هي النقطة المطروحة للبحث وللتفكير.

على ضوء هذا وبالنظر إلى الإيجاز الذي ذكرت الليلة الماضية حول السبب الأصلي وهو أن الإسلام، الذي ينشد تربية الإنسان، استعمل لأجل تربية الإنسان عنصرين لا يمكن الاستغناء عنهما: التوجيهات الفردية، وخلق المجتمع الصالح لأجل صيانة الفرد... ففقد المسلمون المجتمع الصالح فذابوا وانحرفوا. هذه كلمة موجزة قلتها في أول الأمر، وطبعًا وراءها توضيح وتفاصيل أكثر.

الآن نرجع إلى الأسئلة الموجهة إلينا من قبل الإخوان لعلّنا نتمكن الليلة خلال ساعة، ساعتين، ثلاث، قدر ما تريدون، حتى ننتهي من هذه الأسئلة والأجوبة، وليس في الاجتماع شرط ولا قيد، تستطيعون أن تدخنوا، تستطيعون أن تأخذوا حريتكم حتى لا تتعبوا. تحبّون [أن تسألوا] كلّ الأسئلة مهما كانت، حتى الأسئلة غير المرتبطة بمحاضرتنا نتحدث فيها باعتبار أن تصنيف هذه الأسئلة في غاية الصعوبة لأن هناك أسئلة [...].

نبدأ من الأول:

س: سمعنا عن مجلس الجنوب وعن تقديم المساعدات والتعويضات وعن بناء المدارس والمستشفيات، ولكننا لم نسمع شيئًا عن تسليح الجنوب أو وجود خطّ دفاع على المستوى المطلوب؟ نرجو من سماحتكم التوضيح. ولكم الشكر.

ج: نحن في نشاطاتنا مع إخواننا لخدمة الجنوب. النشاطات التي بلغت القمة يوم الإضراب، كان طلبُنا عدة أشياء: تحصين الجنوب، التسليح، يعني المزيد من القوى الدفاعية، أو حسب تعبيركم، الخطّ الدفاعي على المستوى المطلوب، وتحسين الأوضاع الاجتماعية. في يوم الإضراب أقرّ مجلس النواب قانون ثلاثين مليون ليرة، وأسس مجلس الجنوب. بطبيعة الحال هذا تلبية لمطلبنا الاجتماعي، يعني تحسين أوضاع الجنوب.

على الرغم من المشاكل التي كانت قائمة ولا تزال، وهي الإهمال المزمن. ثانيًا، عدم وجود دراسات شاملة للجنوب. وهذا الشخص الذي يدخل المعركة يرى أنه بالنسبة لليطاني بعد كذا سنة، عشرين سنة، الخرائط المطلوبة للأرض غير موجودة. وثالثًا، الأجهزة المهترئة، كانت هذه التلبية، تلبية ثلاثين مليون ليرة وتأسيس مجلس الجنوب، تلبية سريعة، وما كان من الممكن أن نرفض هذه التلبية ونقول أنتم غير صادقين في وعدكم، إلّا في حالة واحدة، هذه الحالة أنه لو كنّا نريد أن نقوم بثورة. والثورة بحاجة إلى أجهزة، وبحاجة إلى مؤسسات، وبحاجة إلى نفر وليس أفراد، وجماهير، قيادات وكوادر، ونشاطات منظمة. وإلّا فالثورة لا تخدم إلّا العدو في حالات الفوضى.

ولذلك، اعتبرنا أن تأسيس مجلس الجنوب وتخصيص ثلاثين مليون ليرة لهذا المجلس، تلبية لمطلب من المطاليب الثلاثة. مسألة التسلح العام ووجود الخطّ الدفاعي، إذا تذكرون أنه فور انتهاء القانون وفي اليوم الثالث، قدمت أنا بيانًا وطالبت بإقرار المبلغ المخصص لتسليح الجيش وشراء الصواريخ وغير ذلك في اليوم الثالث من الإضراب بالنسبة لوضع الأسلحة الكافية للدفاع عن الجنوب، وإن كان هذا الدفاع بشكل سريع لا يمكن، ولكن الخطوة العملية في هذا السبيل. هذا حُلَّ من عند ربنا، كيف حُلّت هذه المشكلة؟ بنفس الأوقات جاء الرئيس القذافي إلى لبنان، كما تعرفون وأنا عرفت وأظن أنه ليس سرًّا بأن الأسلحة التي كانت الحكومة تريد أن تشتريها لأجل الدفاع أخذوها من ليبيا، إما بمبادلة بعض الأسلحة، وإما بشكل قروض وتطوع. فهذا الأمر تأمن في إطار ما كان يمكننا أن نطالب.

المطلب الأول وهو التسليح العام. طالبنا ونطالب بقضية التجنيد الإجباري حتى يكون التسلح شاملًا والتدريب شاملًا. هذا الشيء نتيجة لانتهاء عهد مجلس النواب السابق، حتى بعد ذلك وحتى في العهد الجديد، وفي كلّ مناسبة المطالبة بالتجنيد الإجباري قائمة عندنا، ووضعنا دراسات عن الموضوع وقدمناها. ونعتقد أن التجنيد لا يعالج فقط مشكلة استعداد الإنسان اللبناني لمواجهة الصعوبات والمعارك، [بل] حتى معالجة لمشكلة الميوعة القائمة في لبنان عند الشباب وعند البنات.

مشكلة الكسل، مشكلة الترف، هذه المشكلة لا تعالج إلّا بفترة جديّة خشنة في حياة الإنسان الذي يتأمن عن طريق التجنيد.

من خلال مناقشاتنا قيل إن التجنيد الإجباري يكلف ثمانين مليون ليرة ونحن لا نملك هذا المبلغ، وحاولنا أن نضع ضرائب، ما وافق مجلس النواب. نحن قدمنا لهم دراسة تقلل كمية النفقات للتجنيد الإجباري من ثمانين مليون ليرة إلى أقل من عشرين مليون ليرة، وذلك، [لأنهم] كانوا يقولون إن التجنيد يحتاج إلى معسكرات، مبانٍ، نفقات، تعطيل العمل، وما في التجنيد الإجباري من المشاكل. نحن مع بعض خبراء المجلس درسنا الموضوع بالشكل التالي:

إن التجنيد الإجباري لا يكون في فترة واحدة بل يكون في أربع فترات: فترة الصيف، ويُعتمد الطلاب الذين يبلغ عمرهم 16 سنة في الصيف يدربونهم ثلاثة أشهر، ثم السنة الثانية والسنة الثالثة والسنة الرابعة، أو ثلاثة فصول كلّ فصل أربعة أشهر، فترة الصيف.
أولًا، لا نعطل أحدًا عن العمل.
ثانيًا، لا نحتاج إلى المعسكرات المبنية، نتمكن أن نعتمد على المخيمات فقط.
وثالثًا، النفقات تتجزأ، وحسب دراساتنا تكون أقلّ من هذا المبلغ. حصلت مناقشات أن هذا فني أو غير فني، معقول أو غير معقول، الدراسات مستمرة ومطالبتنا أيضًا مستمرة بالنسبة لهذا الموضوع.
وفي نفس الوقت حصلت هناك محاولة لتسليح الجنوب، ولكن أنتم تعرفون أن قضية الجنوب أصبحت قضية معقدة. يعني اليوم باشرت السلطة بتسليح الجنوب، سمعنا شعارات ارتفعت بأن هذا التسلح ضد الفدائيين. وهذا الموضوع حتمًا كان يشكل صعوبات كثيرة لو استمر بالأخذ والعطاء. ومشكلة الأمن في الجنوب كما تعرفون ناتجة عن عدة عوامل وأسباب، وطبعًا نحن بمقدار ما نهتم بتسلح المواطن الجنوبي بنفس المقدار نهتم بتنشيط العمل الفدائي، وسلامة العمل الفدائي من التناقض الداخلي، ومن التصادم الداخلي ومن المزايدات.

فالعمل على التسليح كان عملًا حرجًا ودقيقًا ومعقدًا، وما أمكن أن نتبنى كفئة التسلح، لأن هذا كان بحاجة إلى تغطية سياسية كافية للدفاع عن الشعارات التي ترتفع بأن هذا التسلح ضد الفدائيين. وما كان من الممكن الاعتماد المباشر على الحكومة حتى تُسلِّح الأشخاص، لأن الحكومة كانت تقول هناك أناس غير مستعدين. والخصوم كانوا يقولون [إن] الحكومة تسلح الأنصار ضد

العمل الفدائي. ولذلك، ما كان [هناك] أيّ حلّ للمشكلة إلّا التسلح العام الذي يأتي عن طريق التجنيد الإجباري. وهذا كان مطلبنا ولا يزال هذا المطلب قائمًا، ونرجو أن نتوفق خلال المجلس الجديد يعني العهد الجديد أن ننفذ هذا الطلب.

طبعًا، فيما يعود إلى نشاطات مجلس الجنوب التي تنحصر في المسائل الاجتماعية كتجهيز المستشفيات وبناء المدارس والطرق، هناك تقارير وأظن سيصدر عنهم بعد أيام قليلة تقرير لموجز أعمالهم خلال خمسة أشهر. إنْ كان لي من شهادة أشهد لوجه الله في هذا اللقاء أنه في إطار المشاكل الصعبة، يعني عدم وجود دراسة شاملة، والدراسة تكلف أوقات وأوقات طويلة، والعمل كان مستعجلًا، وفي إطار الإهمال المزمن الذي لا يتعالج بمسائل ونشاطات سهلة، وفي إطار اهتراء الجهاز، خلال هذه الشروط الصعبة، قاموا بأكثر ما يمكن من العمل ويقومون بذلك في خلال هذه الفترة. هذا حسب معلوماتي السطحية البسيطة. والحقيقة أن هناك فروق بين الأدوار علينا أن نصارح أنفسنا: ما هو المطلوب من مثلي؟ مرة نقول المطلوب أن يقوم شخص بديل عن الدولة بثورة أو بنشاطات واسعة أهليّة فهذا بحاجة إلى جهاز. مرة مطلوب منّا أن نثور.

الثورة بطبيعة الحال بحاجة إلى جهاز، وبحاجة إلى عناصر، وبالتالي تحتاج إلى بعض الصعوبات، تحتاج إلى أوضاع، حتى لا تخرج الثورة من مضمونها الأصيل فتخدم الخصوم.

الحلّ الوحيد أو الخطّ الوحيد لنا، كان واليوم وسوف يكون بإذن الله: نحن قوة مواطنية ضاغطة، قوة مواطنية ضاغطة، نضغط على السلطة حتى السلطة تمارس. بصراحة نحن لا يمكننا أن نكون بديلًا عن السلطات ونستلم الحكم، وليس عندنا إمكانية الثورة الناجحة في الوقت الحاضر. ولذلك، طريقنا [...] فريدًا في نوعه وفي إطار الظروف اللبنانية التي نعيشها كان أقصى ما يمكن من العمل أن يكون من خلال الدولة وأجهزتها.

س: السؤال الثاني، للحضارة أو للتقدم وجهان أو جانبان: الأول مادي يتمثل في العمران والتصنيع والتكنولوجيا، والثاني معنوي ويتمثل في الأخلاق والدين والإنسانية، ولا يجوز أن نجعل التقدم وفقًا على الجانب المعنوي وبالخصوص الإنسانية، لأنه لا إنسان بدون وسائل تكفل حياته وبالتالي إنسانيته.

ج: هذا السؤال موجّه من أكثر من صديق، وأتصور فيه بعض الالتباس حصل بالكلمة. نحن فسَّرنا التقدم بالتقدم الإنساني، واعتبرنا التقدم الإنساني يعتمد على التقدم المادي والتقدم المعنوي. يعني لا نقول التقدم الإنساني مقابل للتقدم المادي، أبدًا! التقدم المادي شرط أساسي للتقدم الإنساني،

ولا نقول إطلاقًا إننا متقدمين لأننا أسبق من الغرب في الحقل الإنساني، أبدًا هذه الكلمة غير واردة. الإنسانية المتقدمة هي الإنسانية التي تتوفّر لها وسائل الحياة الكريمة كما تقول، وتتوفّر لها المعنويات والقيم بمستوى التقدم المادي. وطبعًا مع انهيار إحداها ينهار أساس الإنسانية، والحديث الذي قرأت والذي يمثِّل وجه الإسلام الصحيح: كُنْ لدنياك كأنّك تعيش أبدًا، يعني يجب عليك أن تبذل جميع جهدك في سبيل بناء وعمران العالم، عمران الحياة، وعليك أن تكون على استعداد دائم للسفر إلى الآخرة. يعني بنفس المقدار الذي تهتم بالآخرة، عليك أن تهتم بالدنيا. ولمعلوماتكم أيضًا أعيد إلى ذاكرتكم هذه الآية الكريمة: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة} [القصص، 77]، ولا أضيف، في كلمة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا، نفس الآية الأولى الفقرة الأولى: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة} [القصص، 77] يعني أنت حينما تعمِّر بيتًا، حينما تملك سيارة، حينما تجد كفاءة، حينما تتعلم وتتثقف اقصدْ الخير في عملك. يعني نحن لا نقول إن البناء، أو الوصول إلى القمر، أو اختراع السيارة، أو التقدم التكنولوجي هذا ليس الدنيا، أبدًا!

الإمام زين العابدين يؤكد أن هذا [العمل] هو الآخرة. يسأله أحد التجار فيقول: يا سيدي أنا مُبتَلىً بالدنيا، فيقول: وماذا تقصد بالدنيا؟ يقول: أشتغل بالتجارة فأربح، فأكفل نفسي، وأمنعها عن الحاجة إلى شرار الناس، وأربي أولادي وأساعد أرحامي وأصل رحمي و... وأنفق على الجيران. الإمام يقول: هذه هي الآخرة.

فإذًا، أنا معك في هذا السؤال، وما قلتُ غير هذا. يعني التقدم الأخلاقي، والتقدم في القيم الروحية ليس تقدمًا إنسانيًا، كما أن التقدم في التكنولوجيا ليس تقدمًا إنسانيًا. التقدم الإنساني، هو التقدم في مختلف جوانب حياة الإنسان. وبالنسبة إلى مقايسة الشرق بالغرب، أنا حاولت أن أكسر شوكة السؤال، لأن السؤال قاسٍ جدًا: الغرب الكافر متقدم والشرق المسلم متأخر. لا! أنا أقول الغرب الكافر متأخر، والشرق المسلم متأخر، الاثنان متأخران. قد يكون هذا أكثر تأخرًا، أو قد يكون ذاك أكثر تأخرًا. كلاهما متأخران لأن كلّ واحد منهما لا يعتمد أساسًا على الكمال الإنساني المعروف.

س: نحن الطلاب، يتعذّر علينا الحضور في مثل هذه الأيام، وذلك بسبب ضيق الوقت. فهل بالإمكان جعل المحاضرة في يوم من أيام السبت أو الأحد أو الخميس أو الجمعة مساءً، وشكرًا؟

ج: هذا، أنا أترك الجواب عن هذا السؤال إلى آخر الجلسة، لأنه عندي اقتراح تنظيمي لهذا اللقاء نتحدث [به]. أنا أفضِّل أن مجموعة من الشباب تستلم إدارة هذه الحلقات، من جهة الجلوس، من جهة الوقت، من جهة فرز الأسئلة، من جهة التسجيل، حتى لا تكون هذه الأمور على عاتقي فإذا

وجدنا بالفعل أن هناك عناصر ورغبة شاملة في أن يكون أيام السبت أو الأحد أو الخميس أو الجمعة، فأنا ليس عندي مانع، حاضر. أترك الموضوع للشباب الذين سينظمون هذه الحلقات.

س: يقول البعض إن فكرة الإمام المهدي المنتظر عند الشيعة، منشؤها من جرّاء ما لاقوه من اضطهاد وتعذيب، وهذا ما حدا بالشعوب والمذاهب الأخرى إلى القول بهذا القول، كفكرة المسيح، والمخلص وما إليها؟

ج: يا سيدي، فكرة الإمام المهدي المنتظر فكرة إسلامية وجزء من عقيدة الشيعة ومع قطع النظر عن الاضطهاد، هناك أدلة صريحة وروايات متواترة من النبي الكريم. ونصّ الرواية المتواترة هو: لو لم يبقَ من العالم إلّا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلًا من ذريتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ العالم قسطًا وعدلًا بعد ما مُلىء ظلمًا وجورًا. فكرة المهدي جزء من عقيدتنا. نحن نؤمن بالمهدي إيماننا بالإمام عليّ، وإيماننا برسول الله. كشيعة جزء من عقيدتنا. وحتى الروايات الواردة عن الرسول الأكرم، حول المهدي (عليه السلام) متواترة عند الفرق الإسلامية الأخرى تمامًا. وقد لاحظتُ واتصلتُ وقرأتُ في أكثر من كتاب، والتقيتُ في مصر في هذه الرحلة الأخيرة بكبير الحفّاظ، الذي اسمه الشيخ حافظ التيجاني، فسألته عن رأيه بالأحاديث الواردة حول المهدي، فقال نحن نؤمن بذلك، وكثير من الإخوان، غير الشيعة، يؤمنون بالمهدي.
هذا ليس انعكاسًا عن الضغط إطلاقًا! عقيدة ثابتة. ولكن لهذه العقيدة تأثيرات على الوضع الاجتماعي إذا فهمناها بالشكل الصحيح. اسمحوا لي أن أوضح هذا الموضوع بشكل أوسع قليلًا.

الحقيقة أن فكرة المهدي في الأساس، وفكرة المهدوية ما هي؟

فكرة علمية واضحة مقبولة عند الجميع. نحن نشعر بأن الإنسان في تكامل دائم، أليس كذلك؟ الإنسان دائمًا يتفاعل مع الحياة، مع الكون، يكسب خبرة جديدة ويجرب تجارب جديدة، ثم يخطو خطوة نحو الكمال. الإنسان على طول في تكامل. نعم! هناك انحدارات في الحضارة الإنسانية نعتبرها تجارب، يعني مثلًا الحضارة إذا لاحظنا graphic الحضارة الإنسانية يبدأ من الأرض من الصفر ويرتفع، ولكن أحيانًا ينزل ويطلع وينزل ويطلع ولكن بمجموعه في صعود دائم. أحيانًا، فترات الانحدار هذه تأخذ مئة سنة، مئتين سنة، ثلاثمئة سنة، خمسمئة سنة، لكن هذه الانحدارات في تاريخ الإنسانية فترات محدودة تُعَدّ، والإنسان في خلال هذه التجارب دائمًا يسعى نحو الكمال.
فإذا لاحظنا النشاط الإنساني في مختلف جوانبه، يعني في حقل العلم، في حقل الأخلاق، في حقل المذهب، في حقل الفلاحة، في حقل التكنولوجيا، في حقل الفلسفة، في أيّ حقل، نجد أن الإنسان دائمًا

جهة السير له نحو الكمال، ولأجل خلقٍ أفضل. هذا الاتجاه نحو الكمال له غاية، له نهاية، له مثالية. المثالية الكاملة في كلّ شيء هو اكتشاف كلّ الحقائق. الإنسان في الحقل الاجتماعي أيضًا له تجارب، جرّب مدة الاستبداد، جرّب مدة Féodalité الإقطاع، جرّب مدة طويلة الرأسمالية، الآن يجرّب الإنسان الاشتراكية، بألوان وأشكال مختلفة جرّب الديمقراطية، جرّب الاستبداد، جرّب الجمهورية، جرّب الملكية، وهكذا الإنسان في تجربة دائمة ومع كلّ تجربة يستفيد، يفشل، ينجح، يتجه إلى الكمال.

أفضل الأنظمة الممكنة، أو النظام المثالي الذي ينشده كلّ متحرك، أن يجد نظامًا يكون الإنسان فيه، يجد أمامه فرصة للنمو في جميع الكفاءات. لا تكون فرصة الدراسة محدودة بفئة دون فئة، لا تكون فرصة الشغل محصورة بفئة دون فئة، لا تكون فرصة إرضاء الطموح مختصرة على فئة دون فئة. المجتمع المثالي الذي لا يكون فيه ظلم. المجتمع المثالي، حسب ما يقول المثل، أن يشرب الغنم والذئب من مورد واحد، هذا المثل الشعبي الشائع يعني. النظام المثالي الذي ينشده الإنسان، وأيُّ نظام آخر حتى ينجح له شرطان:

الشرط الأول، الاستعداد، استعداد القبول عند الناس. الناس كيف يستعدون؟ إما يتعبون... يهلكون، يتعبون من الفشل الذريع؛ إما يكتملون فيرون الكمال، يصير عندهم استعداد لقبول أيّ فكرة تلبي حاجاتهم، الاستعداد.

الشرط الثاني، القائد. كفرد أو كجماعة، تعبِّر عمّا في نفوس الناس... الثورات التي تنجح في العالم كيف تنجح؟ قائد الثورة أو قواد الثورة يطرحون شعارًا، هذا الشعار يلبي حاجات الناس وأحاسيس الناس فيلتفوا حول الثورة وتنجح.

بنفس السبب الأنبياء ينجحون. النبي يقدم رسالة إلهية، هذه الرسالة الإلهية تلبي حاجات الإنسان في مختلف جوانبه، ولذلك، يُسند النبي، فينتصر النبي. وإلّا الفرد أو مجموعة قليلة من الناس، لو ما كان أمامهم تلبية عامة أو شعور بأن هذه الرسالة تلبية لمشاعرهم، لا يمكن أن تنجح أيّ حركة أو أيّ ثورة أو أيّ ديانة في العالم. حتى القرآن الكريم يصرِّح بأن الدين فطرة، يعني النبي حينما يبشر الناس بالدين، يجد في نفوس الإنسان تلبية، لأن فطرة الإنسان تلبي حديث الرسول. فإذًا، أيّ حركة ناجحة، وأيّ نظام يريد أن ينجح له شرطان: الشرط الأول الاستعداد في النفوس، الشرط الثاني الداعي، القائد أو القواد.

الشرط الأول، يتوفّر نتيجة للتجاوب، المجتمع المثالي، حينما يكون عند الناس الاستعداد الدائم، أو

[على] حدّ تعبير هذا الحديث حينما امتلأ العالم ظلمًا وجورًا، والناس يرغبون أن يجدوا عدلًا وقسطًا. المبشِّر بهذا النظام هو المهدي. فكرة المهدي، هذا هو المبشر بالنظام المثالي الذي يلبي حاجات المجتمع المتعطش. هذا هو المهدي، هذه فكرة المهدي، ليس الاضطهاد الذي يدعو إلى فكرة المخلص عند المسيحية أو عند الشيعة أو عند السنة أو عند الفئات المختلفة. حتى الإنسان غير المضطهد، الرغبة في الكمال تجعل في نفسه استعدادًا لقبول دعوة المبشر. فإذًا، المهدي مصداق للقائد الذي يبشِّر بالنظام المثالي، وينجح حينما تكون الاستعدادات والنفوس مهيأة لقبول هذه الدعوة.

من هو المهدي؟ للشيعة رأي خاص يقولون [إنه] رجل من ذرية رسول الله اسمه اسمه وكنيته كنيته، ولهم عقيدة خاصة بالنسبة للعمر والولادة؛ بحث كلامي، قد نطرحه في مكان آخر إذا أردتم، وبعد ذلك فكرة المهدي وتأثيرها على المسلمين، هذه النقطة التي أريد أن أقف عندها بعض الشيء. وطالما معًا سأرجع لنفس السؤال، مسألة العمر.

فكرة المهدي كانت فكرة خدمت المجتمع الإسلامي خدمتين عظيمتين:

الخدمة الأولى، الأمل الدائم، لأنه بلغ الأمر في سابق الزمن - وربما اليوم نفس الشيء- بلغ الأمر بالمسلمين إلى أن أبواب العالم كلّها سُدَّت في وجههم. أهل الحق كانوا مضطهدين، مشردين، منبوذين، في هذه الفترات العصيبة من الضغط، لو ما كان من أمل كانوا يستسلمون (أهل الحق) ويذوبون في مجتمع طاغٍ، أو أمام سلطان جائر، أو أمام استعمار مسيطر. لو ما كان من أمل كانوا يذوبون. ما الذي أبقى الأمل في هذه النفوس؟ فكرة المهدي. يعني مهما بلغنا من الظلم والاضطهاد والصعوبات والمشاكل، كنّا نشعر بأنه لا، هناك يوم ما انتهينا، سوف يبعث الله رجلًا، سوف يأتي مخلص، سوف...، سوف... هذا الشيء حفظ لنا الأمل، هذه النتيجة الأولى من فكرة المهدوية.
النتيجة الثانية، وأرجو الانتباه لها، فكرة المهدي جعلت المؤمنين بالفكرة في استعداد دائم... استعداد دائم، لأننا كنّا نؤمن بالانتظار. ما هو الانتظار؟ الانتظار يعني الاستعداد. الآن إذا أنت كنت على موعد مع شخص، الساعة التاسعة صباحًا مثلًا، رحت إليه في البيت وجدته لا يزال في الفراش غير قائم من الفراش، وغير مستحم وغير مرتدٍ ثيابه وغير مستعد للخروج... هل يصحّ أن يقول لك أنا كنت منتظرك؟ هذا ليس انتظارًا. الانتظار هو الشخص الذي هو مستعدٌ لحظة ما أنت تدقُّ الباب، يكون حاضرًا. هذا مفهوم الانتظار. وفي الأدعية الواردة حول المهدي، ومنها دعاء العهد، هذا واضح، أنه شاهرًا سيفي يعني الشخص المنتظِر هو المستعد للخروج، وكان عند أهل الحق. أتذكر

استعدادًا دائمًا حتى مؤخرًا، أنا متذكر [عندما] كنت طفلًا، وكنّا نسكن أيام الطفولة في مشهد الإمام الرضا في خراسان، وأبي كان رجل دين كبيرًا... أنا متذكر أن أبي كان يقتني سيفًا طويلًا (بوقتها ما كان كلاشينكوف، هلق كلاشينكوف لازم نقتني)، في مخزن من مخازن بيتنا، والذي قدّم له هذا المخزن رجل دين زاهد وتقي. فآباؤنا والمؤمنون كانوا على استعداد دائم للخروج. هذا مفهوم الانتظار، غير المفهوم أنه كلّ شيء... نحن لا نعمل شيئًا، صاحب الزمان يجيء يصلح الشأن. هذا ليس انتظارًا، هذا تمامًا مثل التحريف الذي حصل في مفاهيم إسلامية أخرى.

فكرة المهدي أمل واستعداد. هذه هي فكرة المهدي، ولا شكّ أن هذه الفكرة خدمت كثيرًا، وإذا صححناها اليوم في نفوسنا تخدم كثيرًا.
أما مسألة العمر يا أخي، مسألة العمر، مسألة علمية مفسَّرة، أوجزها بكلمات حتى لا أخرج عن خطّ الحديث.

في الحقيقة أن الإنسان حينما يموت في هذه الفترة المعينة من الزمن، نحن... الإنسان يموت أحيانًا أربعين، خمسين، ستين، سبعين، تسعين على مختلف المراحل؛ الموت بهذه الصورة أمر غير طبيعي. الموت في هذه الصورة ناتج إما عن الجراثيم، وإما عن سوء في التغذية، وإما عن عدم تمكن الخلايا [من] إنتاج خلايا شابة. هناك أسباب للموت، وإما حوادث مفاجئة. فإذا تقدم علم الإنسان فقضى على الجراثيم وقضى على شيخوخة الخلايا وقضى على الحوادث، وقضى على سوء التغذية يعمِّر أكثر من هذا المبلغ. وبتعبير فلسفي، حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز على حدّ سواء. يعني الإنسان الذي ممكن أن يموت في أربعين أو خمسين أو ستين أو تسعين ممكن أن يموت في مئة ومئتين وثلاثمئة وأربعمئة وألف. وهذا المفهوم، إمكانية تطوير عمر الإنسان، مفهوم بديهي وعليه محاولات واسعة النطاق في الأوساط العلمية العالمية؛ هناك المئات من العلماء دراساتهم كلّها حول كيفية إطالة عمر الإنسان.

وهكذا نجد أن الإنسان بطبعه يشعر وحتى علماؤه يعرفون بأنه يجب أن نموت بهذه الفترة التي نحن نموت فيها. وعلى الصعيد التجريبي نحن نجد معمّرين كثيرين بين بني الإنسان. نجد حيوانات تعمّر ألف سنة أو يزيد، نجد أشجار تعمّر ألف سنة أو يزيد، ولا تقل إن هناك فرق بين الإنسان والأشجار والحيوانات. سبب طول العمر واحد، يعني الإنسان كموجود يختلف عن هذه الآلة. الآلة خلاياها ثابتة واحدة تُستهلك، فتنتهي. الإنسان خلاياه تتغير دائمًا، خلاياه يعني أنا كلّ

خلية عندي تنمو وتولِّد ثم تتحول إلى أوساخ وتخرج من الجسد. يعني اليوم الخلايا الموجودة في جسمي وجسمك كلّها جديدة. قبل 13 سنة أو 12 سنة ما كانت ولا خلية واحدة بجسمك من الخلايا الموجودة عندك. الإنسان ليس موجودًا واحدًا، موجود متبدل دائمًا؛ خلية تتحول إلى خلية ثانية، خلية ثالثة خلية رابعة. فإذا تمكَّن العلم من أن يؤمِّن للإنسان ظروفًا حياتية، تتحول الخلايا من دون أن تشيخ، أو تصطدم بالجراثيم، والميكروبات، أو تعمل حوادث، يتمكن الإنسان أن يعيش طويلًا. والحيوان خلاياه متعددة ومتبدلة، والأشجار خلاياها متبدلة ومتعددة.

وعلى الصعيد الإسلامي، القرآن الكريم يصرِّح في واقعة نوح أنه دعا قبل الطوفان {ألف سنة إلا خمسين عامًا} [العنكبوت، 14]، والذي يؤمن بالقرآن الكريم طبعًا يصدق ويصدق إمكانية هذا الشيء. ثم في سورة يونس، وفي واقعة يونس، صاحب الحوت: و{لولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون} [الصافات، 143-144]. ولذلك، بإمكاننا أن نؤكد إمكانية طول عمر الإنسان أكثر بكثير مما نحن نعمِّر كما يبدو ذلك، في الأرقام المنتشرة من قبل مؤسسات عالمية، أن عمر الإنسان المعاصر في زيادة أيضًا، معدل العمر قبل عشر أو 15 سنة كان شيئًا، اليوم معدل العمر زِيد عليه عشر أو 15 سنة أخرى. وهذا بحث طويل ذكرت بعض رؤوس أقلام حتى إن شاء الله نتمكن في فرصة ثانية من أن نتحدث فيها.

س: مولانا كيف نقول إن الأعمار بيد الله، لما جنابك تبحث على الصعيد العلمي، نريد الصعيد الديني الأعمار تكون بيد الله.

ج: أنت...

س: لما أنا يصير عمري ستين سنة ولا زلت شابًا [...] يموت بسكتة قلبية [...] نحبّ [أن] تشرح لنا إياها إذا سمحت.

ج: إذا قلنا الأعمار بيد الله بالمفهوم الذي أنت تقوله تصير المشكلة أسهل، يعني طالما العمر بيد الله مثل ما أعطاني العمر الله ستين سنة سبعين سنة أعطى لصاحب الزمان ألف وخمسمئة سنة لا مشكلة أبدًا، أليس كذلك؟ فإذًا، أنت مرتاح من هذه المشكلة، أنا تعبان مع الذين يفسرون كلمة العمر بيد الله بشكل آخر وأقول لك مثلما أن الأعمار بيد الله، الأسباب أيضًا يهيئها الله سبحانه وتعالى، ومن الأسباب أن يلهمني أن أعالج نفسي، أن يلهم الطبيب أن يكتشف دواء لميكروب، وأن يلهم الإنسان أن يهيىء ظروفًا حياتية أفضل. هذا هو... إشارة بهذا الموضوع.

س: سؤال: هل يمكن التنازل عن قطعة أرض مسجلة باسم الوقف الشيعي في دبين قضاء مرجعيون لصالح وزارة التربية الوطنية لإنشاء مدرسة رسمية لتعليم أولاد القرية، علمًا بأن المرجع الشيعي في العراق قد وافق على ذلك خطّيًا؟

ج: إذا جاء الماء بطل التيمم مثلما يقولون. طالما المرجع الشيعي وافق على ذلك فأنا من تلامذة المرجع الشيعي وأوافق على ذلك بدون تردد، وإذا عرفت تفاصيل من الأخ محمد شحيمي مستعد أن أعطيه أيضًا صكًا ومستعد أن أبقي الجواب خطّيًا في أمانة سرّ المجلس الكريم، كما أراد الأخ الكريم، لأخذه والعمل به بعد بضعة أيام، وذلك لعدم تمكني من الحضور في الحلقة القادمة. فأنا سوف أو حالًا أحوِّل السؤال إلى رئيس دائرة الأوقاف عندنا للتسجيل. تفضلوا أستاذ عدنان، إن شاء الله تكون الأسئلة كلّها بهذه السهولة والسلاسة.

س: ذكرتَ أن أُسس الحضارة حضارة والعلم مصدرها هو الواقع، والدول الغربية استمدت حضارتها من هذا الأساس، وأصحاب هذا الأساس ابتعدوا عنه كثيرًا حتى أصبحوا من عداد الدول المختلفة. وذكرت سيادتك وشرحت أسباب هذا التخلف فما هو السبيل أو الطريق لإعادة بناء هذا الأساس وهذا المجد ولماذا لا نعمل بهذا الصعيد وطنيًا وعالميًا؟ وشكرًا.

ج: يا سيدي، هذا إعادة للسؤال وتأكيد علينا حتى نفتش... نحن الآن في صدد التفتيش عن السبب. فإذا تمكنا بعون الله أن نضع يدنا على السبب بشكل دقيق حينئذ نتمكن من ممارسة الجواب. فجواب هذا السؤال هو في الحقيقة العمل الذي نعمله. يعني هذه الحلقات حول سبب التخلف إذا أثمرت وأعطت النتيجة الواضحة بأن سبب التخلف الشيء الفلاني حينئذ نبدأ من الشيء الفلاني ونعالج إن شاء الله.

س: ادُعِي أن الإسلام كرَّس العنصرية كما هو الحال في أمريكا اليوم، باستباحتهم الرقّ ثم بعبوديته لعشرات الآلاف كما حدث في إسبانيا وغيرها؟

ج: يا سيدي، الإسلام رفض العنصرية رفضًا باتًا، والدليل على ذلك صريح القرآن الكريم: {يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر أو أنثى وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات، 13]. أرجو الانتباه قليلًا! لا أريد أن أكرر الذي سمعتموه. أريد أن أقول شيئًا جديدًا عن الموضوع: {وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا}، يعني ليس بين الشعوب المختلفة أيّ

ميزة، لا يفضل قوم على قوم، ولا عنصر على عنصر، ولا أمة على أمة، ولا قبيلة على قبائل. لا يمتاز إطلاقًا... وليس أحد أفضل من أحد من هؤلاء، صريحًا! فلماذا جعل الله الشعوب مختلفة؟ لتعارفوا، لتتعارفوا، يعني لكي تعرف قبيلةٌ قبيلةً، لكي يعرف كلّ منكم الآخر.
حسنًا! وإذا عرفنا ما النتيجة؟ الإنسان يميل إلى الكمال وإلى اقتباس الكمال، فأنا حينما عرفتك وعرفت ميزتك سوف أقتبس منك فأكتمل، وأنت حينما عرفتني وعرفت ميزتي سوف تقتبس مني فتكتمل. فإذًا، التعارف وسيلة للتعاون، يعني إعطاء العون، إعطاء الكفاءة وأخذ العون يعني الأخذ والعطاء. والتعاون سبيل للكمال يعني الإنسان خُلِق على مختلف الكفاءات، حتى كلّ فئة تمتاز بكفاءة، تعرف الفئات الأخرى، وتُعرف من قبل الفئات الأخرى فتصبح حركة دائمة بين الشعوب في سبيل الكمال.

فأولًا، التفاوت بين الشعوب - أرجو الانتباه- التفاوت بين الشعوب يفرض الوحدة والتعاون، لأنه لو كانت الشعوب المختلفة متساوية الكفاءات ما احتاجت فئة أو شعب إلى أن تأخذ من الفئة الأخرى أو تعطيها لو كان لها ما عند الآخرين، وما كان عند الآخرين ما ليس عندها، أليس كذلك؟ فأن أملك ما لا تملك، وتملك ما لا أملك من الكفاءات، يفرض عليّ وعليك التعاون. أنا أشعر بأني غير مستغنٍ عنك، وأنت تشعر بأنك غير مستغنٍ عني.
س: ما دام الإسلام لم يميز بين طائفةٍ وأخرى أو فئة وأخرى لمَ حصل الإهمال هذا أولًا. [...] وثانيًا لمَ جعل من أموال المسلمين قسمًا للسادة؟

ج: طيب، هذا سؤال آخر اسمح لي بعد انتهاء هذا السؤال.

س: **[...] السؤال هذا.**

ج: نعم، لا هو هذا يأتي عن الرقّ، مشكلة الرقّ في الإسلام هذا المشكلة.

فإذًا، مفهوم هذا البحث الأول {وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا} [الحجرات، 13]، تفاوت بين الشعوب والقبائل أولًا يفرض الوحدة، يفرض التعاون، ويفرض عدم الاستغناء، لا أحد مستغنٍ عن أحد. نفس المنطق موجود بالنسبة للأفراد، الآية الكريمة تقول: {وقالوا لولا أُنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون}

[الزخرف، 31-32]. هناك من افتهم من هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم يكرِّس التفاوت الطبقي بالدرجات، وهذا خطأ فهم القرآن الكريم بهذا الشكل. بل نفس الفكرة، كلّ إنسان يمتاز عن الإنسان الآخر بكفاءة. كما أن في هذا القاعة، وحتى بين الإخوة، مجموعة من الناس كلّ واحد يختلف شكله عن شكل الآخر من وجهه، أيضًا الكفاءات بين الناس تختلف. فهناك تفاوت في الكفاءات: كلّ صاحب كفاءة يقود الآخرين في حقل كفاءته، يعني أنت كطبيب عندك كفاءة الطب، كطبيب تتخذني سخريًا تسخرني، يعني تأمرني وأنا الشيخ مطيع لك في حقل الطب، وأنت كطبيب مطيع لي في حقل الدين. ونحن الاثنان مطيعان لفلان في حقل الرياضة، وثلاثتنا نطيع، ويقودنا رابع في حقل الهندسة. وهكذا، كلّ إنسان له كفاءة وفي حقل كفاءته يقود الآخرين.

فإذًا، لا أحد فوق شخصٍ آخر فوقًا مطلقًا، بل هذا فوقه من جهة وتحته من جهة. وهذا التفاوت بين الأفراد هو الذي يفرض وجود التعاون بين الأفراد لأن المجتمع كما قلت في الأسبوع الماضي، لو تكوّن من أفراد متساويي الكفاءات، يعني كلّهم يكونون مثل زجاجات (بيبسي كولا) كما ذكرت في الأسبوع الماضي، ليس هناك من مجتمع، لأنه أنا لماذا أريد أن أتعاون معك؟ أتعاون، يعني آخذ العون منك وأعطيك العون، ماذا تعطيني؟ أنا عندي كلّ شيء، لا أريد أن آخذ منك شيئًا وأنت ماذا تريد أن تأخذ مني لأن كلّ ما عندي عندك، وكلّ ما ليس عندي ليس عندك، فلا يتكون أيّ ترابط وتماسك. هذا هو سبب وحدة المجتمعات على اختلاف كفاءة الأفراد، وسبب وحدة المجتمع العالمي على اختلاف كفاءة الشعوب والقبائل. فإذًا، الإسلام إطلاقًا لا يكرِّس العنصرية في منتصف هذه الآية، القبائل والشعوب تختلف حتى تتوحد أولًا، وحتى تكتمل ثانيًا، معروف هذا المبدأ.
نرجع للسؤال يقول السائل: الإسلام لماذا استباح الرقّ؟ أنا ضد هذا القول: الإسلام ما استباح الرقّ، ولكن الإسلام جاء في أيام كان الرقّ مباحًا، فوضع أنظمة مرنة فورية قضت على الرقّ، خلال فترة الإسلام الأولى حينما كان الإسلام يتحكم في الناس وذلك عن الطرق الآتية والبحث طويل، أذكر موجزها:
أولًا، منع الاسترقاق العفوي. لا يمكن لإنسان أن يسترقّ إنسانًا آخر إطلاقًا، إلّا في حالات الحرب، إلّا مع الكافر الحربي، يعني حينما يكون المسلمين في حرب مع الكفار فأُسِرَ من أُسِرَ، هنا يأتي وقت الاسترقاق، وليس كلّ إنسان يُؤسر يُسترقّ يعني يصبح عبدًا، بل يُعرض الأمر على الحاكم، فإذا أخذ الحاكم بعين الاعتبار أسبابًا وموجبات تدعو إلى الاسترقاق يحكم بالاسترقاق، وإلّا فيحكم بالإعادة والتحرير وكلّ شيء، يعني ليس شيئًا مكرسًا إطلاقًا.

ما الاعتبارات التي من الممكن أن يأخذها الحاكم بعين الاعتبار؟ الحاكم يجد أن الحرب قائمة، فإذا ترك الأسرى من جديد يقوى صف العدو، لا يتركهم ماذا يعمل بهم؟ يقتلهم! قتل إنسانًا وحرم المجتمع من طاقته، حبسهم! يأمر بالحبس، حرم المجتمع من طاقة هذا، فأمر بالاسترقاق لكي يتربى ويخدم المجتمع، حتى إذا تربى تربية كاملة فأسلم يُعتَق أوتوماتيكيًا. يعني هناك أحكام في الفدية والكفارات والأحكام الواردة في الجرح والضرب، والأحكام الواردة في الاستيلاد وأم ولد والأحكام الواردة في المصاهرة أحكام مفصلة. أوتوماتيكيًا لا يبقى الرقّ [...]

لماذا تأخر المسلمون عن ركب
التقدم العلمي والمادي – 1–[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن حديثنا - والسؤال الذي أمامنا- حول سبب تخلف المسلمين بدأنا بالحديث ثم وجدنا أمامنا مئات من الأسئلة، من الطبيعي وجود هذه الأسئلة الكثيرة طالما أن حلقات الحوار جديدة. في الحلقات الأولى الأسئلة تكثر وتكثر وتكثر، ثم إذا استمرّت الحلقات طبعًا تتقلص هذه الأسئلة نتيجة للتفاهم بين الحاضرين وبين المحاضر.

هذه الأسئلة الكثيرة في الحقيقة، إذا أردنا أن نؤجلها تفقد روعتها وإيجابيتها ووقتها الخاص، وإذا أردنا أن نقسِّم الوقت مثلما كنّا نقسِّم مضطرين أن نؤجل الأسئلة. ثم الاكتفاء بالأسئلة أيضًا أمر صعب، باعتبار أنه المفروض أن يكون في كلّ ليلة قسم من الحديث يُخصص للبحث الأساسي. الحلقة السابقة خُصصت كلّها تقريبًا للأجوبة عن الأسئلة ومع ذلك بقيت كمية من الأسئلة، الليلة إذا خصصناها للجواب عن الأسئلة ننتهي منها. ولكن أحبّ أن أذكر بعض الأمور التنظيمية، حتى نتمكن أن نستفيد من هذا اللقاء بأكثر وقت ممكن. الأسئلة إذا كانت حول المحاضرة، يصبح التحرك أسرع والأبحاث تتم بسهولة ومن الممكن أن يتحول السؤال إلى السؤال الشفهي.

بعد أن اتفقنا جميعًا على إمكانية توجيه السؤال مهما كان قاسيًا وسلبيًا لأنه خلال هذا اللقاء نحن نريد في خلال هذا اللقاء أن نكون علميين موضوعيين وليس عاطفيين ملتزمين ببعض مبادئ أو أفكار متجمدة، لا نتجرأ على التحرك إلّا خلالها، فإذا كان السؤال شفهيًا، خلال المحاضرة وبعد المحاضرة الأسئلة بسرعة تُقال والأجوبة بسرعة تبين، ثم السؤال الشفهي يحول دون تكرار السؤال.

يعني عندما يسأل شخصًا سؤالًا، الثاني لا يسأل سؤالًا، بينما عندما تتجمع الأسئلة قد تكون خمسة، ستة، عشرة أسئلة مشابهة وإذا كان هناك من أسئلة خاصة سرية، وصاحب السؤال لا يريد أن يُعرف أن هذا السؤال ينتسب له، عند ذلك يكتبه ويعطيني إياه آخر المحاضرة، وطبعًا ليس له حقّ الأولوية، يعني يسمح لي بأن أؤجله للحلقة الثانية، هذا طلبي. الليلة أيضًا أختصر الحديث عن محاضرتي، وأضع الإطار للجواب الأخير عن السؤال، ثم أُفرِّغ حوالي ساعة من الوقت للأجوبة عن الأسئلة الباقية التي فرزتها وصنّفتها عدة أصناف، جواب السؤال يتلخص في هذه الكلمة، كان السؤال:

س: **لماذا تأخر المسلمون؟**

ج: جواب هذا السؤال، أن الإسلام الذي كان غايته تربية الإنسان تربية كاملة شاملة، هذا الإسلام له نوعان من الحكم ونوعان من التعاليم: نوع يتوجه إلى الفرد، فيربي الفرد ثقافيًا وعقائديًا وعمليًا وأخلاقيًا. الحقول الأربعة في الإسلام:

الثقافة، يعني المفاهيم الجديدة الإسلامية.

ثانيًا، العقيدة يعني الإيمان.

ثالثًا، العمل.

ورابعًا، الأخلاق.

هذه الأنواع الأربعة وُجّهت إلى الفرد. ثم الإسلام له نوع ثانٍ من الأحكام، وهو الأحكام الاجتماعية، الأحكام التي بموجبها يريد الإسلام أن يصون الفرد. يريد الإسلام أن يكوِّن للإنسان المسلم مجتمعًا صالحًا، يتمكن المجتمع الصالح من صيانة الفرد وإبقائه في الخطّ الصحيح، ونموّه.

لماذا الاهتمام بالمجتمع؟ لأن الإسلام يعرف كما نحن نعرف أن الإنسان موجود اجتماعي، لا يمكن إلّا في الحالات النادرة النادرة جدًا أن يبقى الإنسان صحيحًا في مجتمعٍ فاسد. فلكي نتمكن من صيانة الإنسان صيانةً كاملة، كان على الإسلام أن يكوِّن للإنسان مجتمعًا صالحًا. هذا المخطط الأول. هذا المخطط الذي نسميه بمهمتين في حياة الرسول الأكرم، مهمة الرسالة، يعني إبلاغ الأحكام، ومهمة الولاية يعني تطبيق الأحكام وخلق مجتمع إسلامي. تسع سنوات عشر

سنوات، مارس النبي مهمتيه (عليه الصلاة والسلام)، ثم وضع خطة لاستمرار بناء المجتمع الإسلامي، ولتكوين هذا المجتمع.

فالمسلمون ما نفّذوا، فانحرف الموضوع، بقي الفرد المسلم بقوة الاستمرار يركض فترة في الخطّ الإسلامي وبقي المجتمع النصف مكون، المجتمع الناشئ الإسلامي بقوة الاستمرار يركض فترة من الزمن ثم انحرف. تمامًا مثل الدواليب التي تخرج من السيارة تمشي مدة من الزمن ثم تقع. فإذًا، جوابنا يتركز على هذه النقطة المسلمون تخلّفوا، لأنهم فقدوا المجتمع الإسلامي، وإذا أرادوا أن يرجعوا عليهم أن يكوّنوا المجتمع الإسلامي ولا تنفعهم النشاطات الفردية إلّا جزئيًا.

هذا الأساس يفسر جميع الأسباب التي استعرضناها والتي ما استعرضناها في الأسبوع الماضي، فَقْد المجتمع الإسلامي هو الذي سبب عدم توزيع الثروات بالشكل الصحيح، وبالتالي وجود البطر بين المسلمين والانحراف. هذا السبب الذي وُجِد لأجل انهيار المجتمع الإسلامي أو الفرد المسلم أمام الحضارات الأخرى: اليونانية والاسكندرانية والفارسية والبورية والكلدانية والهندية فانهارت الشخصية الإسلامية في نفس المسلم. هذا السبب الذي بعد فترة من الزمن جعل المسلم يتمسك بصلاته وصيامه وعباداته، ثم اعتكف ثم انحرف ثم بطَّل أن يكون عالمًا، ثم فقد القيادة في العالم المادي.

هذا السبب الذي مكّن الاستعمار أن يستعمر المسلم، هذا السبب لجميع الأسباب، هذا السبب لخروج المرأة من الحياة العامة، هذا السبب لفقد الكلمة - والعمل والوعد- حقائقها ومحتوياتها وهذا السبب لإشارة في بعض الأسئلة يُوجَّه لي يقول: ولماذا لا تقول من الأسباب هو انحراف رجال الدين؟ أيضًا انحراف رجال الدين من الأسباب، لكن كما قلت في الأسبوع الماضي، نحن نفتش عن سرّ الأسرار وسبب الأسباب. أسباب كثيرة لكن نقطة الانحراف أين؟

في الأسبوع القادم بإذن الله حديثنا حول هذه النقطة: لماذا فقد المسلمين مجتمعهم الإسلامي الذي خططه لهم نبيهم؟ لماذا فقْدهم للمجتمع هذا أدّى إلى تلك المشاكل والأسباب والمحتويات التي أوصلتهم للحالة الحاضرة؟ هذا مخططنا في الأسبوع القادم بإذن الله نتحدث فيه.

فإذًا، الآن نحن اتضح أمامنا كادر والخطوط العريضة للسؤال والجواب، لماذا تخلّف المسلمون؟ لأنهم فقدوا مجتمعهم؟ كيف فقدوا مجتمعهم؟ واضحة الأسباب. أتحدث فيها، ولماذا فقْد

المسلمين لمجتمعهم أدّى إلى الكوارث التي نعيشها، لماذا الفقد للمجتمع أدّى إلى هذه الأسباب الرئيسية التي كانت وراء انحراف المسلمين؟ هذا حديثنا في الأسبوع القادم نكمل الجواب عن الأسئلة حتى ننهي الأسئلة في هذه الليلة بإذن الله، ونترك للحديث الأساسي وللجواب عن السؤال سيره الطبيعي فلتأذنوا لي بأن أنهي هذه الأسئلة في هذه الليلة بإذن الله وإن شاء الله في الأسبوع القادم...

س: مولانا

ج: نعم، تفضل.

س: ماذا تعني بالنشاطات الفردية؟

ج: النشاطات الفردية قسمتها إلى أربع أقسام: الثقافة والإيمان والعمل والأخلاق. الثقافة مفهومها الثقافة الإسلامية يعني المفاهيم والتفسيرات التي يعطيها الإسلام عن الكون وعن الحياة.

س: عفوًا حضرتك قلت إن النشاطات الفردية هي لا تنفع يعني إلّا لأصحابها.

ج: نعم!

س: يعني النشاطات الفردية ما لها أهمية.

ج: لا، لا يعني ما لها أهمية لا، لا تكفي، يعني الإسلام كما أنه مهتم بتكوين المجتمع لأجل صيانة الفرد مهتم أيضًا بتكوين الفرد نصف الأحكام أو أكثر الأحكام موجّهة للأفراد والنصف الآخر موجّه لتكوين الجماعة. الفرد أيضًا مخاطب ومكلّف، وليس أن الفرد لا شيء. النشاطات الفردية يعني التعاليم الإسلامية الموجهة إلى الفرد أيضًا لها دور كبير وأثر عميق في تربية الإنسان، أنا أقول لا يكفينا أن نحاول أن نعرف الإسلام ومفاهيم الإسلام، وأن نؤمن بعقائد الإسلام وأن نعمل أعمال الإسلام وأن نتخلق بأخلاق الإسلام، لا يكفي هذا، زيادة على ذلك يجب أن نهتم بتكوين المجتمع الإسلامي ذلك الذي يقول فيه الحديث: وما نُودِيَ بشيء مثلما نُودِيَ بالولاية. هذا هو الحديث... لم أقل إن النشاطات الفردية لا تنفع.

س: [...] ما هو سبب انحراف [...]

ج: هذا السؤال نفس السؤال أنا طرحته في الأسبوع الماضي و...

س: **[...] دون محاضرة.**

ج: لا، إذا سمحت نحن اعتبرنا أننا نفتش عن سرّ الأسرار وسبب الأسباب، ما السبب الرئيسي؟

س: **[...]**

ج: لا، إذا سمحت.

س: **[...] ممكن نستفيد من محاضرة غيرها مثلًا إذا اقتنعنا بالفكرة يعني وهي فكرة مهمة فكرة أنه يجب أن تُطرح [...] قدر ما يستفيد الواحد [...]**

س: **مولانا عدم التنظيم في النجف، ضيوفنا عفوًا مولانا هل تسمح لنا بأن نحكي؟**

ج: تفضل!

س: **[...]**

ج: بكلّ شكر، بكلّ صراحة.

س: **عدم التنظيم في النجف الأشرف يعني أدّى إلى الكثير من [...]**

س: **مولانا قال أحدهم إن النجف يستورد الجنائز ويورد العجائب وهذا صحيح مولانا [...] ونأتي إلى لبنان إذا ظهر واحد مثلك يقولون عنه عميل [...]. نريد رجال الدين أن يكونوا يدًا واحدة أو أيّة طريقة تقدر تجمع بينهم.**

ج: يا أستاذنا لا نريد أن نتشعب في الحديث. نريد أن نرجع ونقول إن عدم تنظيم النجف أو مشاكل من هذا النوع لماذا؟

س: **[...] عدم التنظيم أو [...]**

ج: لماذا عدم التنظيم؟

س: **لأنه لا يوجد هناك مؤسسة أو جامعة تنتقي الأفضل.**

ج: لماذا لا يوجد هذه الجامعة.

س: **لأنه لو وُجِدت لكان هناك تنظيم.**

ج: صحيح، لكن لماذا ما وُجِدت؟ أنا يا أخي أنا معك... في الحقيقة أن أسباب التخلف يعني المجتمع عندما يتخلف جميع شؤونه تتخلف في التناسب والتناسق، التقدم منسق والتأخر منسق.

أنا أفتش في هذه الحلقة عن السبب الرئيسي، لماذا العلماء غير منظمين؟ لماذا العلماء لا يدعون إلى ما يجب أن يدعوا إليه مثلًا، لماذا ليسوا يدًا واحدة؟ هذا جانب. أيضًا عندنا مشاكل أخرى كثيرة نفتش عن سببها، لماذا كلّ هذا؟

س: **طيب مولانا نحن معك لنعمل، نحنا هنا لنعمل، وليس لماذا؟ لنعمل على [...]**

ج: ماذا نعمل إذا ما عرفنا لماذا.

س: **لنعمل [...]**

ج: على رأسي لنضعْ يدنا على الجرح، لنضعْ يدنا في الحلقة الأولى على الجرح ثم نعالج، يعني إذا ما نحن عرفنا السبب سنتخبط، أيّ [دراسة] مشكلة تبدأ دون دراسة الطريق والأسباب [دراسة] مشكلة غير ناجحة ولا توصل إلى النتيجة.

س: **سؤال مولانا، يعني نسمع من عدة أشخاص أنه نحن لا زلنا [...] يعني ننظر لماضينا. نحن يجب أن [...] نبدأ بواقعنا يعني ما الفرق في واقعنا، الآن حاليًا الماضي نتركه يعني بما أنه الماضي معترفين فيه أنه كان [...] ونبدأ من هنا.**

ج: كيف نبدأ.

س: **[...]**

ج: كيف نبدأ.

س: **كيف نبدأ برؤية واقعنا لكن بالمنظور الحالي، الآن ونبدأ ونصلح فيه، [...]**

ج: ممكن... من دون معرفة سبب التخلف تبدأ؟

س: **تبدأ، غير سبب تخلف الماضي لأنه أنا بالنسبة...**

ج: لا، ليس سبب تخلف الماضي، سبب تخلف الحاضر. نحن نفتش عن سبب تخلف الحاضر، لماذا نحن متخلفون؟ نفتش عن السبب، نحن هذا المجتمع مجتمع مريض، واضح أن مجتمعنا الإسلامي مجتمع مريض، ونحن من غير شرّ نضع أنفسنا محل الأطباء نفتش ما هو السبب، لنصلْ للمرض وفكرنا لأنه ليس عندنا مجتمع إسلامي، فلنسعَ لأجل تكوين المجتمع الإسلامي.

س: **مولانا إذا اجتمع رجال الدين [...]**

ج: طيب كيف تتمكن أن تجمع رجال الدين؟

س: **دعوة من رجال الدين مباشرة.**

ج: هل تعتقد أنه هذه الدعوة ما حصلت، تفضل هل تعتقد أن هذه الدعوة ما حصلت.

س: **إذا كان واحد [...]**

ج: صارت وبُلِّغت وتعيّنت وبُلِّغت للإعلام... لا، المشكلة أعمق من هذا يا حبيبي.

س: **[...]**

ج: مثلما تفكر في السبب أنه لماذا أنا منحرف لأيّ سبب؟ ثمّ إن رجال الدين جزء من هذا المجتمع أنت تعتقد أنه غير رجال الدين غير مسؤولين عن هذه المسائل.

س: **كلّنا مسؤولون.**

ج: كلّنا مسؤولون، لنصلْ لسبب الأسباب ومن ثمّ نجاوب.

على كلّ حال (اسمحوا لي يا شباب) أعطوني فرصة لليلة القادمة أيضًا، ومن ثمّ أنا عندما أرسم الخطّ الصحيح حسب فهمي، أذكر النقطة الواضحة أنه ما هو السبب، وأذكر أنه كيف انحرفنا وهذا الانحراف وصّلنا لأيّ نقاط، بعد ذلك أنتم مستعدون يعني أمامكم... يا سيدي.

س: سماحتك، تكون الأسئلة للآخر حتى نقدر...

ج: نعم، هذه أسئلة ناتجة من الـ...

س: أستاذ عفوًا نحن عقّبنا على كلام [...] قبل ما نسأل أسئلة مباشرة.

ج: على كلّ حال الأفضل أن تكون المخاطبة معي. يا سيدي عندنا عدة أسئلة مهمة بحدّ ذاتها مواضيع ذات قيمة واهتمام، السؤال الأول وهو سؤال عميق:

س: يقال إن الفلسفة هي انعكاس لتطور المجتمع، وكما نعلم أن جميع الفلاسفة الإسلاميين لم يكن لهم مذهب معين في الفلسفة بل كانوا في جميع القضايا الفلسفية يعتمدون على اليونان أو غيرهم فهل معنى ذلك بأن الإسلام لم يكن له فلسفة خاصة به، وما رأيكم بمن يقول اليوم بأن أسباب تراكضنا نحو اتباع الفلسفات والتيارات المتعددة هو انعدام وجود فلسفة متطورة، تكون نابعة من واقع المجتمع؟

ج: سؤال في منتهى الدقة، وسؤال في منتهى القسوة، الجزء الأخير منه فقط صحيح، والباقي سوف أجيب عنه.

أولًا، الفلسفة هي انعكاس لتطور المجتمع. هذا يجب أن نضيف إليه كلمة، كما أن الفلسفة انعكاس لتطور المجتمع، أيضًا سبب لتطوير المجتمع، يعني هناك تفاعل بين الفلسفة وبين تطوير المجتمع. بيان ذلك - أرجو الانتباه، هذا بحث عميق وضروري أن نقف عنده بعض الشيء-، التنظيمات الاقتصادية والتنظيمات الاجتماعية والتنظيمات السياسية، يعني كيف ننظم الدولة؟ كيف نوزِّع الثروات؟ كيف ننظم الإنتاج ووسائل الإنتاج؟ كيف ننظم الجمعيات والمؤسسات والفئات؟ كلّ هذه المسائل بحاجة إلى جذور عميقة، تلك التي تسمّى بالعقائد والتي تعتمدها الأحزاب المعاصرة بالعقائديات.

لماذا نحن بحاجة إلى هذه المبادئ العميقة؟ لأنه إذا ما انطلقنا في تنظيماتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، إذا ما انطلقنا من مبدأ عقائدي تصبح تنظيماتنا غير منسجمة مع نفسها في أيّ موقف يتحكم فيها الموقف ليس المبدأ. حينما تكوِّن مبدأ عقائديًا لأيّ حركة، في جميع المواقف، التحركات تنطلق من مبدأ واحد، وعند ذلك تصبح جميع التحركات منبثقة من مبدأ واحد، ومنسجمة فيما بينها، وبالتالي تساعد الإنسان على التطور. أما إذا كان هناك من حزب، أو تنظيم اجتماعي، أو

نظام رسمي حكومي في العالم، إذا لم يكن له مبدأ يتخبط، يتناقض، يتعارض بعضه مع بعض، يتولد في داخله تناقضات وبالتالي ينهار. فإذًا، الفلسفة انعكاس لتطور المجتمع، صحيح، ولكن كذلك الفلسفة سبب أساسي لتطوير المجتمعات.
النقطة الثانية، جميع الفلاسفة الإسلاميين لم يكن لهم مذهب معين في الفلسفة، بل كانوا في جميع القضايا الفلسفية يعتمدون على اليونان أو غيرهم.

هذا أقسى ما يمكن من الظلم في العالم أن نقول إن المسلمين لم يكن لهم فلسفة. هذا الشخص بكلّ احترام هو أبعد الناس عن الفلسفة، فلسفة اليونان القدامى التي بدأ من عندها المسلمون، موجودة بين أيدينا. فلسفة أفلاطون، فلسفة أرسطو، فلسفة ديمقراطيس، الفلسفات الموجودة موجودة بين أيدينا. كتبها مهيأة، محضرة، جاهزة، ثم تضع هذه الفلسفة أمام فلسفة ابن رشد، الفلسفة التي عرفتها أوروبا، تجد أن هناك تحولًا كبيرًا في الفلسفة، مع العلم أن ابن رشد قطرة من فلسفة المسلمين؛ يعني فلسفة ابن سينا، ثم الحكمة المتعالية يعني فلسفة صدر الدين الشيرازي قمة الفلسفة ولا تقاس إطلاقًا بأيّ فلسفة يونانية، ولا شبه بينها وبين الفلسفة اليونانية إلّا الشبه الذي موجود بيني وبين يوم وُلِدت من أمي. هذا الشبه بهذه الدرجة موجود بين فلسفة صدر الدين الأخيرة يعني الحكمة المتعالية وبين الفلسفة اليونانية، هناك تهجم على الفلسفة الإسلامية، تهجم ظالم، أمامك كتاب "الإشارات والتنبيهات"، كتاب "الشفاء"، كتاب "القانون"، كتاب "الأسفار"[4]، كتاب المنظومة، تفضل هذه الفلسفة الإسلامية.

من قال إن الفلسفة الإسلامية من المعلوم أنها لم يكن لها مذاهب؟ لا، من المعلوم أنها كان لها مذاهب، أرفع المذاهب، وأنا أخبرك ولا أدري هل السائل موجود بالاجتماع أم لا، أنا أخبرك بأن قمة الفلسفة الغربية الحديثة، يعني فلسفة الألمان المعروفة بـ Existence وليس Existentialism لأن الفلسفة الوجودية الصحيحة انبثاق من أصالة الوجود الخاص بصدر الدين الشيرازي وغيرها، أما Materialism الـ Dialectic التي في الحقيقة هي اختلاط بين الفلسفة وبين المنطق، لأن Dialectic كما تعرفون نوع من المنطق، وMaterialisme المادية فلسفة من الفلسفات طبعًا تطور للفلسفة المادية ولكن جذورها أقدم من ماركس وهيغيل وأمثال ذلك. وهناك بالفعل فلسفة مادية سابقة، تطورت ولا يمكن أن نقول إن الفلسفة الواقعية Realist التي نسميها Idealist التي كثيرًا ما يُتهجم عليها، تطورت تطورًا فظيعًا. فمبدئيًا الفلسفة الإسلامية لها في جميع القضايا مواقف ثابتة

وواضحة ولا تعتمد على آراء اليونان إلّا بمقدار ما يعتمد كلّ شيء على أصله، ولو كان الأصل نقطة وقطرة أمام البحر، ليس لي أن أثبت ذلك... إلّا أن آخذ بيدك وآخذك للمكتبة مكتبة الفلسفة حتى تجد ما هي الفلسفة.

وأحبّ أن أضيف على ذلك، هل تعتقدون أن الفلسفة اليونانية، التي ملأ اسمها العالم، فلسفة أصيلة؟ هناك من يشكّ في أصالة الفلسفة اليونانية ويعتقد أن الفلسفة اليونانية أيضًا انطلقت وسرت من الشرق إلى اليونان، وهذا بحث طويل يؤكد عليه كتاب "تاريخ العلم"، كتاب معروف باسم "تاريخ العلم" يشرح كيف انطلقت الفلسفة وكيف تحوّلت وسَرَتْ من الشرق إلى اليونان المهم في الموضوع أن الفلسفة الإسلامية أو بتعبير أصحّ فلسفة المسلمين يعني المسلمون الفلاسفة، كان لهم دراسات فلسفية واسعة وبين أيدينا، والذي يريد أن يتحدث يراجع ويرى الموجود.
أما هذه الكلمة، فهل معنى ذلك أن الإسلام لم يكن له فلسفة خاصة؟ أحبّ أن أقف عندها أيضًا كما قلت، المسلمون الفلاسفة لهم فلسفة تمتاز عن فلسفة اليونان وتمتاز عن فلسفة الغرب وهي قمة الفلسفة في العالم، ولكن هذا لا يعني أن فلسفة الإسلام هي فلسفة المسلمين الفلاسفة. أرجو الانتباه بعض الشيء، الإسلام كدين يهتم بالتنظيم الاجتماعي والتنظيم السياسي والتنظيم الاقتصادي. كما قلت في أول الحديث لا بدّ له من فلسفة، لكن الفلسفة في الإسلام غير مفهوم الفلسفة عند الفلاسفة لأن الفلسفة عند الفلاسفة يعني معرفة الحقائق كإنتاج إنساني، الفلسفة عند الإسلام ليست إنتاجًا إنسانيًا، وإنما هو عقائد أو تفسيرات أو مبادئ إلهية يعني الإسلام قبل أن يأتي يقول يجب عليك أن تؤمن بالله الواحد الأحد، وأن تؤمن بالموت والحياة، وأن تؤمن بالمعاد، وأن تؤمن بنبوة الأنبياء، يعطيك مبادئ بإمكانك أن تسميها فلسفية، يعني يقول لك ما هو تفسير الإسلام عن الله؟ ما هو تفسير الإسلام عن الكون؟ ما هو الكون؟ ما هو تفسير الإسلام عن الموت والحياة؟ ما هو تفسير الإسلام عن العمل؟ كيف يفهم الإسلام الفرد؟ وكيف يفهم الجماعة؟

هذه المبادئ التي قلنا إنها جذور ومنابع التعاليم الإسلامية للإسلام فلسفة خاصة بهذا المعنى، يعني هناك مبادئ عقائدية تعتمد عليها مفاهيم الإسلام في مختلف الحقول، فإذًا، أولًا المسلمون الفلاسفة، لهم فلسفة تختلف عن فلسفة اليونان.
ثانيًا، فلسفة الإسلام بالمصطلح تختلف أيضًا عن فلسفة المسلمين الفلاسفة، يعني لها مبادئ أخرى

غير فلسفة ابن سينا وابن رشد وفلسفة صدر الدين وغير هؤلاء هناك فلسفة عميقة إلهية معروضة للإنسان المسلم كمبادئ عقائدية حتى في تحركه العالمي لا يكون متخبطًا ومتناقضًا.

س: وما رأيكم بمن يقول اليوم بأن أسباب تراكضنا نحو اتباع الفلسفات والتيارات المتعددة هو انعدام وجود فلسفة متطورة تكون نابعة من واقع المجتمع؟

ج: هذا كلام صحيح، يعني أنا أقول إن هذه الفلسفة الإسلامية أو فلسفة المسلمين الذين سميناهم - لا هذا ولا ذاك- معروفة في عالمنا اليوم. فشبابنا اليوم وغير شبابنا اليوم يا أخي مجتمعنا اليوم جميعًا بالفعل يفقد الفلسفة أو العقيدة أو المبدأ الذي ينسق له النشاطات الإسلامية في مختلف الجوانب، وبالتالي يشعر بالفراغ العقائدي، فيركض حسب تعبير السائل نحو اتباع الفلسفات من هنا وهناك، هذا سؤال صحيح. فلكي لا نشعر بالفراغ علينا أن نرسم صورة واضحة عن الفلسفة. الإسلام ليس فلسفة المسلمين، لأنه أنا على الرغم من دراستي الفلسفية لا أؤمن بأن فلسفة المسلمين أو حتى كلام المسلمين Theology لن يحلّ مشكلة إنما علينا أن نعتمد فلسفة الإسلام بالذات يعني ما يقترحه الإسلام لكي يكوِّن جذورًا –عقائديًا- في حياة المسلم، وهذا إن شاء الله ممكن أن يكون مبدأ سؤال آخر للمستقبل.

س: السؤال الثاني: للعمل والعمال الدور الرئيسي اليوم وفي كلّ زمن في بناء الدولة، وما هو نصيب العمل والعمال في النص وفي السُّنة؟

ج: لو كان صاحب السؤال موجودًا لكنت أستاذن منه بأن نجعل هذا بحثًا خاصًا لأنه موقف الإسلام من العمل والعمال موقف واضح ومشرف. وأنا بالفعل في اللقاء الأول عرضت على الحاضرين بأنه سوف يكون حديثنا في الحلقة القادمة لكي نتجنب الغيبية عن موقف الإسلام حول العمل والعمال. يعني ما هو موقف الإسلام من العامل؟ ومن العمل؟ وما هي القيمة التي يعطيها الإسلام للعمل؟ وما هي كيفية صيانة الإسلام لقيمة العمل ولحقّ العامل؟ هذا بحث بحدّ ذاته بحث مفصل وجميل، فاسمح لي - صاحب السؤال- أن نجعل هذا البحث بحثًا قادمًا يعني بعدما ننتهي من بحث أسباب تخلف المسلمين الذي ننهيه إن شاء الله في الأسبوع القادم نتحدث في هذا السؤال.

س: إذا كانت عودة المجتمع الإسلامي إلى الإنسان المسلم تحلّ المشكلة كما يتبين لي من حديثكم فلماذا لا تقوم مساعٍ لتحقيق هذه الغاية، أقصد مساعٍ تنظيمية؟

ج: صحيح أنا أؤمن بوجوب السعي التنظيمي لأجل تكوين المجتمع الإسلامي، ولكن أعتقد أن هذه المساعي التنظيمية لها مرحلتان، مرحلة تثقيفية، توعية، ومرحلة ثانية تطبيقية تنظيمية. أيّ واحد يكون أسبق من الثاني، بحث مفصل ولذلك في جواب هذا السؤال أنا جوابي نعم، يعني، أوجه نفس السؤال لماذا لا نسعى لأجل إيجاد مجتمع إسلامي، يجب ذلك، أنا معترف بوجوب ذلك.

س: **لقد فرقتم بين الفرد والمجتمع في الإسلام وهما متلازمان فكيف نفهم سيدي أن يسلب المجتمع إنسانية الفرد المسلم؟**

ج: طبعًا من الإيضاحات أتصور أن جواب هذا السؤال واضح. أنا قلت إن الإسلام يربي الفرد، يعني يعطي تعاليم للفرد ثم يشكِّل له مناخًا لصيانته. حينما فقد الإنسان المسلم هذا المناخ أصبح ـ بما عنده من العادات أخلاقًا وعملًا وعقيدة وثقافة- يمشي في العالم غير المنسجم معه، وهذا العالم غير المنسجم خلال فترة طويلة يقضي عليه تمامًا مثل دولاب السيارة الذي ينفصل عنها مدة من الزمن يمشي ولكن أحيانًا ينهار بسرعة أو بغير سرعة حسب ظروف الطريق. يعني الإنسان المسلم بعدما فقد مجتمعه، بعد وفاة النبي الكريم، أصبح معرضًا لتصرف الصدف. فالصدف قد تساعد وقد لا تساعد للتطويل أو للتقصير فسلب المجتمع من الإنسان المسلم أدّى إلى هذا الانهيار.

س: **قرأت في النهار قولًا لمساحتكم بمناسبة عيد العمال للسنة الماضية إن العامل أكثر استقرارًا من الناحية المادية من ربّ العمل، أليس في هذا القول تأييدًا ضمنيًا لربّ العمل وهو الطرف القوي والمستغلّ والذي يثري على حساب العامل ويجحف بحقّ العامل وهو الطرف الضعيف المطعن المشتغل؟**

ج: أظن أن هذا خطأ في نقل كلمتي أنا قلت إن العمل هو العنصر المفضل من عناصر الإنتاج يعني قلت إن وسائل الإنتاج الثلاثة: العمل ورأس المال ووسيلة الإنتاج يعني الآلة، هذه العناصر الثلاثة تتقاسم النتيجة والإنتاج، كيف تتقاسم؟ هذا هو السؤال.

ذكرت أن الإسلام يعطي الأفضلية للعمل لأنه أولًا يسمح للعمل أن يكون له دخل ثابت ذلك الذي نسميه بالأجر، ولا يسمح لرأس المال أن يكون له دخل ثابت لأن هذا ربا. ثانيًا، يحقّ للعامل أن يكون مشاركًا في الإنتاج كما يحقّ لرأس المال أن يكون مشاركًا في الإنتاج ولا يحقّ للآلة أن تكون مشاركًا في الإنتاج، هذه ميزتان. الميزة الثالثة العمل مسوكر في الإسلام حسب تعبيرنا اليوم، يعني

إذا كان هناك عامل مضارب اشتغل بالتجارة فربح فالربح بينهما، أما إذا خسر فالخسارة على رأس المال فحسب وليست على العمل.

فإذًا، العمل له ثلاث ميزات بإمكانه أن يشترك بأجرٍ ثابت، وبإمكانه أن يشترك في الأرباح وهو في كلّ حال مصون عن الخسارة، ثلاث نقاط قوة في العمل. رأس المال لا يحقّ له أن يكون له أجر ثابت يعني الربا حرام، يحقّ له أن يشترك في الإنتاج ولكن غير مصون عن الخسارة فإذًا، رأس المال له امتياز واحد، الآلة يحقّ لها أن تأخذ إنتاجًا ثابتًا فقط.

هذا اقتراح الإسلام، ما قلت إن العمال اليوم أحسن حالًا من رؤوس الأموال أو غير رؤوس الأموال، فهذا قلة الالتفات والانتباه إلى كلمتي. الإسلام يقدم ويقترح نظامًا عماليًا هو أكثر الأنظمة العمالية رعايةً لحقوق العامل [...]

ذكرت أن في الشرق إيمانًا بالصدق، والحقيقة أن الإيمان بالصدق موجود في الغرب، أنا أترك لكم دراسة الموضوعات وواقع الغرب في هذا العصر حتى أنتم تحكموا أن الغرب لأيّ حدّ يؤمن بالصدق. صحيح أن التاجر الغربي في معاملته مع تاجر آخر، أو الموظف الغربي مع مواطن غربي لا يكذب، ولكن الغرب كلّه كذبة كبيرة على العالم: الاستعمار، التفرقة العنصرية، الدعوة الديمقراطية والحرية كلّها أكاذيب بدليل أن إسرائيل الآن هي بحدّ ذاتها كذبة، مع أنه الآن يتشرف الغرب يقول لك يا سيدي إسرائيل جاءت حتى تحضركم لماذا أنتم زعلانين؟ إسرائيل خُلِقَتْ في الشرق حتى تحضرنا نحن، هذا هو المنطق الغربي الإسرائيلي، أيّ صدق الصدق الفردي؟ وبهذه المناسبة أتذكر الكلمة المعروفة حول القتل الفردي والقتل الجماعي، أنه "قتل شعب كامل جريمة فيها نظر..."، المثل معروف ولذلك لا نتمكن أن نقول إن في الغرب الصدق موجود، صحيح أن في الشرق لا يوجد صدق.

س: لقد طغت الأفكار المجردة على محاضرتكم ماذا تعني بتحديد إنسانية الإنسان أليست هي تأمين حاجات الإنسان الأساسية وصون كرامته في المجتمع، إذًا، ماذا ينقص الإنسان البريطاني؟

ج: طبعًا هذا السؤال يعود إلى المحاضرة الثانية التي ذكرت بطبيعة الحال، أتصور إنسانية الإنسان هي تأمين حاجات الإنسان الأساسية صحيح ولكن ما هي حاجات الإنسان الأساسية؟ أتذكر أنه سافر خروتشوف وبولغانين زعيما الشرق إلى بريطانيا في رحلة تاريخية معروفة، وكانا موضع

حفاوة كبيرة في المجتمع البريطاني، وكانا نجمي المجتمع في التلفزيون والإذاعة، احتفلوا بهما لا أدري بأيّ سنة بالتحديد يمكن سنة 1962 ربما 1964، من جملة زيارة المؤسسات البريطانية زارا مصانع الذرّة ويقال إن قاعات المصانع الذرّية قاعات كبيرة جدًا يعني مدينة قائمة، فأحدهما قال أنا أتمنى يومًا أن تتحول هذه القاعات إلى قاعات للرقص، فإذًا، حاجات الإنسان في المجتمع الغربي الأكل والرقص فهل هما حاجات الإنسان كلّها؟

س: ألا ترون من أسباب تأخر المسلمين هي تلك البرامج الأجنبية المستوردة من الخارج والتي يلقنونها للشباب في مدارسنا؟ لماذا لا نطالب بتعديل البرامج المهترئة ونطالب ببرامج عربية، يكون هدفها خلق أجيال واعية وليس أجيالًا مايعة؟

ج: لا شكّ أن هذا يسميه أحد كبار المفكرين الإسلاميين الاستعمار الثقافي. الاستعمار الثقافي أخطر من الاستعمار الاقتصادي والسياسي وسبيل لصيانة الاستعمار السياسي والاقتصادي وبقائه، هذا من الأسباب، لكن نحن نفتش عن السبب الأساسي لكلّ هذه المشاكل، لماذا تُرِك الأمر لهم، نتيجة لعدم وعينا ونتيجة لوعيهم، أن يتسللوا لأدمغتنا فيستتبعونا وسكتنا.

س: هل الغيبية من أركان الديانة النصرانية وما هو الفرق بين غيبية الإسلام وغيبية النصرانية؟

ج: هذا يعود إلى محاضرتنا الثانية حول الغيبية، هذا بحث مفصل وفيها محاضرة. لي، صاحب السؤال بإمكانه أن يأتي حتى أعطيه المحاضرة حول الروحية في الإسلام، محاضرة ألقيتها منذ أربع سنوات في College Junior، الغيبية يعني الروحية في الإسلام والأصالة ومداخلة الإسلام في القضايا الاجتماعية، محاضرة طويلة حول الفرق بين الغيبيتين، بصورة موجزة شرحت أن غيبية الإسلام غيبية مقترنة بالشهود، يعني لا فصل بين الغيب والشهود في الإسلام، الغيب والشهود مقترنان، كلّ شيء مادي جانبه الآخر معنوي، العمل والإنتاج الفردي، عمل وإنتاج مادي وهما عبادة بنفس الوقت، الزواج الذي يبدو عند المسيحية أكثر الأشياء مادية يعتبر في الإسلام روحية وعبادة. هذه سنتي فمن لا يتبع سنتي فليس مني، الغيبية في الإسلام غيبية مقترنة بالشهود.

س: قال يوجين روستو رئيس قسم التخطيط في الخارجية الأميركية في أحد تقاريره أن الظروف التاريخية تؤكد أن أميركا إنما هي جزء مكمل لتاريخ العالم الغربي، فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف على الطرف النقيض من تاريخ العالم الشرقي، فلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين الإسلامي، هذا نمط معين في رئاسة قسم التخطيط في

الخارجية الأميركية المتقدمة بالنسبة للاصطلاح الحديث حسب تعبيركم، إذا كانت أميركا العاملة متأخرة فمن هو المتقدم؟

ج: طبعًا هذا الكلام منقول عن كتاب، أنا اطلعت على هذا الكتاب للأستاذ سعد جمعة حول حرب العرب مع إسرائيل تقرير يوجين روستو معروف هذا التقرير، ويحاول هذا الرجل اليهودي الذي كان مستشارًا للرئيس نيكسون وقبل ذلك كان مستشارًا للرئيس كندي أيضًا، يحاول أن يؤكد للرؤساء الأميركيين أنكم مع إسرائيل قطعة واحدة وإسرائيل ما هي إلّا خلاصة وثمرة للحضارة الغربية، فالتنازل عن إسرائيل تنازل عن الحضارة الغربية، فأميركا لا تتمكن أن تتنازل عن الحضارة الغربية لأنها عقيدة وفلسفة وحضارة، مرتبطة بالحضارة الغربية. وفي الجانب الآخر العالم الشرقي ـ كما سمعتم، هذا دليل على تأخر أميركا- أن أميركا ورئيس أميركا يتخذ مواقفه على ضوء تقرير رجل يهودي هو وأخوه عضوان في اللجنة الثلاثية التي تشير إلى الرئيس الأميركي باتخاذ المواقف أيّ شيء يكون بعيدًا عن الحقيقة هو تخلف، هل هذا هو الواقع؟ هذا يصور المجتمع الأميركي الذي يريد صاحب السؤال أن يسميه متقدمًا، إن هذا المجتمع كما يسميه بعض الكتاب الإنسان الأميركي طفل له ذقن، لا عقل ولا تفكير، يحركه اليهودي أو الصهيوني، بتعبير أدقّ، من ورائه فيسخِّر جميع طاقات أميركا لصالح إسرائيل، هذا هو عين التخلف وواقع التخلف.

س: **لماذا لم تذكر الأسباب الرئيسية للتخلف؟**

ج: أولًا، التخدير الديني من رجال الدين لعدم القيام بالثورة على رجال القيادة السياسية.
ثانيًا، تخطيط الاستعمار للسيطرة على بلادنا التي تملك حضارة وتاريخ وعقيدة.
ثالثًا، عدم نشر الإسلام من رجالاته وتنظيم شؤون المسلمين، كلام صحيح ومعقول، ونرجو أن يكون من خلال تفتيشنا للسبب هذا الأسباب الرئيسية أساسية ولكن لها أسباب. لماذا الإنسان المسلم في أيام رسول الله كان يطبق قوله (عليه الصلاة والسلام): "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته"؟ لماذا كان الإنسان رجل الدين الذي هو تعبير غلط عند المسلمين، عالم الدين في أول الإسلام كان يشترك في الحرب؟ لماذا في واقعة الحرّة قُتِلَ من الحفاظ حفظة القرآن سبعون شخصًا؟ واليوم رجل الدين لا يريد أن يتلوث ذيله بقطرة من الدم، حتى ولو كان دم الخروف؛ هذا تخلف دون شك. عليّ بن أبي طالب في المحراب يتململ تململ السليل ويبكي بكاء الحزين، وفي اليوم الثاني يحمل سيفه على ظهره (يا الله إلى الحرب). لم يكن هناك فصل بين المسجد المحراب (مكان الحرب) في تفسير

الآية الكريمة: {خذوا زينتكم عند كلّ مسجد} [الأعراف، 31]، يعني احملوا زينتكم في المساجد، زينة يعني سلاح، هكذا كان، الصورة التي نرسمها نحن الآن عن عليّ بن أبي طالب لا تنفصل عن ذي الفقار. أين ذو الفقار خاصتنا اليوم؟ غير موجود. فإذًا، أنا موافق مع هذا الشيء، ولكن أفتش عن سبب، لماذا رجل الدين صورته اللامعة الطيبة تلك تحولت إلى هذه الصورة التي نعيشها لأيّ سبب؟ هذا نفتش عنه.

س: **إن عدم معالجة القضايا الإسلامية بشكل واضح أدّى إلى هذه الفوضى، فلماذا لا يكون التصريح بدل التلميح إذا كنّا نعتبر أنفسنا مسلمين لاطائفيين؟**

ج: صحيح، يجب أن نكون صريحين في مواقفنا التي يجب أن نتخذها.

س: **ما هو دور ظهور المعجزات كالعصا لموسى أو إحياء الموتى لعيسى وغيرها من الغيبيات؟**

ج: هذا بقية من السابق أشير إليه بشكل موجز، إن المعجزات اتفاقات نادرة جدًا تؤكد صدق الأنبياء باعتبار أنها أعمال إلهية، وليست أعمالًا بشرية. وكلّ نبي كان له معجزة مناسبة لعصره. أما من الناحية العلمية، فكما ذكرت أن العلم لا يتمكن من نفي المعجزات باعتبار أن القوانين العلمية هي الحالات التي تتكرر من خلال مليون حالة، إذا جرّبنا شيئًا في مليون، صورة تخلفت، صورة واحدة، هذا لا يتنافى مع وجود القانون، وتحديد العلم في الطبيعة شواذ حالة من مليون حالة، ولذلك، العلم لا ينفي المعجزات. طبعًا لا يثبت المعجزات أيضًا، ولكن لا ينفيها، كيف نثبت؟ في عصرنا قضية القرآن الكريم المعجزة الوحيدة الباقية، وبإمكاننا أن نؤكد أن القرآن الكريم في وقت نزوله كان فيه معجزات كثيرة، أذكر بعض الأمثلة، القرآن الكريم بشَّر بأن الروم {من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين} [الروم، 3-4] وقد حصل ذلك. القرآن الكريم أخبر أن جثمان مران بتاح الفرعون المعاصر لموسى خرج من الغرق لأنه يقول: {اليوم ننجيك ببدنك} [يونس، 92]، لتكون آية للناس، وهذا ما كان معروفًا في زمن الإسلام وقبل الإسلام بألفين سنة، بل كان الطريقة الوحيدة طريقة التوارة التي تقول بغرق فرعون وأمثال ذلك في عدة نقاط. بالإمكان تأكيد معجزة القرآن، ما يهمّ هذه الكلمة، إن المعجزات في غاية الندرة وإذا كانت المعجزات في غاية الندرة يعني ذلك كلّ مليون حالة هناك حالة تتنافى إطلاقًا مع العلم، طبعًا للبحث تفاصيل.

س: يقال بأن ليلة القدر إذا حضرت على فرد من الأفراد فإن جميع رغبات ذلك الفرد تتحقق، هل هذا صحيح؟ إذا كان صحيحًا كيف يكون ذلك وهل لكم أن تذكروا اسم شخصٍ حضرت عليه؟

ج: أنا أنكر ذلك، أنا لا أؤمن بليلة القدر بهذا المفهوم. مفهومي عن ليلة القدر ذكرتها في برج البراجنة. أعتقد أن ليلة القدر طبيعة الصيام التي تعطي للإنسان سيطرة على إرادته والتي تبعده عن المحرمات وإمكانية السيطرة على أهوائه وبالتالي خلق الصمود أمام الشهوات وأمام الصعاب للإنسان يعني جعل الإنسان بحيث يتمكن من تقرير مصيره، وصريح القرآن {قد أفلح من زكاها} [الشمس، 9]. الصيام يجعل الإنسان يزكي نفسه، وبالتالي يتمكن من صنع مستقبله. أما الصدفة أن الواحد يدرك ليلة القدر أنا لا أؤمن بذلك، لأن الإسلام لا يؤمن بالصدف إطلاقًا. {إنا أنزلناه في ليلة القدر} [القدر، 1]، يعني أنزلنا القرآن في ليلة القدر {وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر} [القدر، 2-3]. نعم ليلة القدر التي نزل فيها القرآن أفضل من ألف شهر لماذا؟ لأن تأثير هذه الليلة على تاريخ الإنسانية أكثر بكثير من تأثير ألف شهر سواء فسّرناه في حكم بني أمية، أو قلنا مبالغة في عدد الأشهر يعني ما أصابته الإنسانية من خير في خلال هذه الليلة أفضل بكثير مما أصابته في خلال مئات السنين من غير هذا الطريق، يعني هذا تمجيد وتوضيح لواقع الإسلام وتأثير الإسلام على حياة المسلمين.

طبعًا كما تعرفون، ألف شهر أيام حكم بني أمية، وفسّر ذلك أن بني أمية خلال ألف شهر من أيام حكمهم، حاولوا القضاء على الإسلام وتحريف الإسلام والنبي الكريم عرف بذلك فحزن، فنزلت السورة المباركة: {ليلة القدر خير من ألف شهر} [القدر، 3]، ليلة نزول القرآن، الليلة التي وضعت الدستور الإسلامي أكثر تأثيرًا في تاريخ العالم من تأثير ألف شهر.

أما ليلة القدر بمعنى قضاء الحاجات، فهذا لا، هذا غير مفهوم، هذا استفدناه مما ورد في الروايات أن ليلة القدر باقية من خلال هذه الأمة.

أنا غير ملتزم بكلّ ما يقال، الرجل الذي طلع من البيت كان فلاحًا وبيده مسحاة ووجد ليلة القدر، أيضًا هذه المفاهيم يجب أن تناقش، أنا لا أؤمن بهذا، فوجد ليلة القدر وما كان يوجد شيء في يده فقال اللهم اجعل مسحاتي ذهبًا (حديد المسحاة) أنا لا أعتقد بذلك لأني لا أؤمن بالصدف بهذا المفهوم، أنه يأتي على بالنا نعمل شيئًا ذهبًا... طيب، الشخص الذي تعب واشتغل وما وصل لليلة القدر، ما ذنبه؟ الإسلام يؤكد بأنه {ليس للإنسان إلا ما سعى} [النجم، 39]، ويؤكد بأن {كل امرئ

بما كسب رهين} [الطور، 21]، و{كل نفس بما كسبت رهينة} [المدثر، 38]. الإسلام يربط بين السعادة والشقاء وبين مساعي الإنسان، أما الصدف فليست من ذلك.

لماذا تأخر المسلمون عن ركب
التقدم العلمي والمادي – 2–[5]

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن على موعد الليلة لإنهاء الأسئلة، تمهيدًا لطرح موضوع آخر في الأسبوع القادم إن شاء الله: موضوع العمل في الإسلام، ورأي الإسلام في العمل اقتصاديًا وبشريًا. ولكي ننهي الحلقة التي كانت مطروحة حول أسباب تأخر المسلمين، بقي بعض الأسئلة أتحدث بالجواب عنها. وقبل التحدث عن الأسئلة هناك إكمال موجز عن الحديث الذي تحدثنا فيه.

في الحقيقة، نحن وصلنا حسب رأيي ومفهومي إلى نقطة الانحراف الأولى، وهي نقطة فقد الإنسان المسلم مجتمعه: المجتمع الذي يصونه عن الانحراف، والمجتمع الذي يوفِّر له الفرص المتكافئة، وذكرنا رأي الإسلام في هذا الموضوع بشكل معين. وقلنا إن بعد الإسلام ونتيجة لفقد هذا المجتمع حصلت انحرافات، وهذه الانحرافات أدّت إلى انحرافات أخرى، حتى انتهى الأمر إلى سقوط الخلافة الإسلامية في أيام معاوية، وتحوُّلِ الخلافة إلى الملك، وتحوُّلِ كلّ شيء إلى امبراطورية جديدة في العالم، اسمه امبراطورية المسلمين، بدلًا عن الخلافة الإسلامية. وبقوة الاستمرار بقيت المكاسب جزئيًا في العالم، وذهبت المكاسب الأكثر أهمية والأكثر عمقًا.
السبب الرئيسي للانحراف، أدّى إلى أسباب أخرى والأسباب الأخرى أيضًا تحوّلت إلى محن وانحرافات بعضها نتج عن بعض. مثلًا: كنّا نتحدث أن من الانحرافات التي حصلت نتيجة لتوزيع الأموال من دون عمل، أن الطاقات البشرية في المجتمع الإسلامي تجمَّدت. بطبيعة الحال نموّ المجتمع، وخصوبة المجتمع، وسلامة المجتمع، لا يمكن أن تبقى من دون الاستمرار في العطاء. الرفاهية تهدّد بالخطر أيّ مجتمع من المجتمعات، والأموال بلا عوض التي كانت تُسلَّم للمسلمين بعد

وفاة النبي عوَّدتهم على الرفاهية. هنا نقف بعض الشيء، لكي نجد هذه المشكلة بصورة جزئية في مجتمعنا، وحتى نعالجها بالشكل الذي يريد حلّها الإسلام.

الإسلام لا يريد أن يؤمِّن المال رفاهية للإنسان، لا رغبةً في الكدح وعدم الرفاهية، بالعكس الزينة والنعمة والحياة ومتع الحياة خُلِقَتْ للإنسان، ولكن المهم ألّا تحول الرفاهية دون التحرك. وهذه مشكلة يعالجها الإسلام بما سوف نتحدث عنه خلال العمل. العمل في الإسلام عبادة ليس وسيلة لكسب الرزق بحدّ ذاته، عمل. فلو كان للإنسان كلّ شيء وكان متمكنًا من أن يعيش دون تعب، يجب عليه العمل. والحديث يقول: كان إذا دخل أحد على رسول الله سأله: هل لك حرفة؟ فإذا قال لا، أعرض عنه. يعني كان يحتقر الإنسان الذي لا يشتغل، أيّ شغل كان. بطبيعة الحال هذا العلاج، علاج لتجميد الطاقة. ولكن تجميد الطاقة لا يمكن أن يُعالج إذا لم يكن هناك من مؤسسات توفِّر العمل. يعني المشكلة ترجع إلى جذرها، المجتمع. ونحن في فترتنا هذه علينا أن نعالجها في خلال إمكاناتنا المتواضعة وبصورة جزئية. هذا السؤال الذي وُجِّهَ إليّ في الأسبوع الماضي.

المشكلة الثانية التي نتجت من المشكلة الرئيسية، والتي جاءت نتيجة للتبعيض والتصنيف والذي يسمّى بالتفاوت الطبقي، وما حصل منه مما يسمّى بالشؤون؛ فلان شأنه لا يساعده على أن يشتغل، فلان شأنه أجلّ من أن يجلس معنا، فلان شؤونه أن يكون له كذا وكذا. هذه الشؤون نحن نعتبرها انحراف، لأن النبي الكريم وهو حسب عقيدتنا سيد الخلق، يقول الحديث: كان يجلس بيننا كأحدنا، وكان الأعرابي يدخل المسجد فيرى حلقة لا يعرف أيّ واحد من الحاضرين هو الرسول، النبي، والحاكم، والمعلم والمربي. لا يعرفه لأن مكانه ما كان مميزًا بين الأمكنة. فكان يسأل أيّكم محمد؟ هذا يدل على أنه كان يرفض إعطاء رسول الله أيّ شأن يختلف عن شؤون الآخرين. وكان يمشي مشية العبد، ويجلس جلسة العبد، وكان يُردِف عند الركوب، مع أنه ليس من الشأن أن الإنسان يركب ويكون معه رديف، قدامه أو خلفه، الذي يركب مع شخص آخر هذا تواضع، وكان يركب الحمار... علامات التواضع بصورة مناسبة لعصرهم.

فإذًا، التجنّب والتحجّب واعطاء الشؤون لشخص، هذا خطأ وتكريس للتمايز الطبقي وشيء يجب محاربته. عليّ بن أبي طالب وهو خليفة، المعروف عنه أنه كان يحمل بعض حاجات البيت، يحمله في ملابسه وهو خليفة. فكان يشتري الخيار من السوق، ويضعه في ملابسه ويمشي، وكان أيضًا يشتغل حتى يعيش: كان يحفر البئر، وكان يزرع شجرة التمر (البلح)، وكان يقوم بسقاية النخيل لأجل الأكل... يكوِّن تمامًا نوعية التفكير وهو خليفة المسلمين. والحديث يقول: ما خفقت النعال خلف

رجل إلّا وقد هلك وأهلك. الإنسان إذا مشى ومعه موكب كبير، النعال التي تخفق خلف الإنسان تُدخل في نفس الإنسان الغرور. هذا يهلك، وأمثال ذلك مئات في حياتهم. الإمام الرضا دخل الحمام، الحمام العمومي طبعًا، فقال له صاحب الحمام: سيدي هل تريد أن أُفرِّغ لك الحمام؟ يعني أُبعد عن الحمام الناس، لأن الإنسان في حالة العري ربما لا يريد أن يشوفه أحد. كما كان يعملونه الكبار فقال: لا حاجة لي بذلك وأمثال ذلك.

فإذًا، هذه النقطة، إعطاء التمايز بين الناس، وإعطاء الشؤون بين الناس، وتصنيف الناس، وابتعاد الناس بعضهم عن عِشرة بعض، وصحبة بعضهم مع بعض، وجلوس بعضهم مع بعض مخالف للشرع ويجب علاج هذه المشكلة جزئيًا. صحيح أن الجذر الأساسي يعود أيضًا إلى تأسيس المجتمع، ولكن إذا أردنا أن نسلك السبيل الذي يوصل إلى المجتمع الإسلامي علينا قدر المستطاع أن نتجنب هذه الظاهرة الاجتماعية.

في بعض التعابير، أوامر مشدّدة حول عدم تحجّب الحاكم عن الرعية. في وصية الإمام لمالك الأشتر واليه في مصر، ينذره عن التحجّب عن الناس، ويقول التحجّب عن الناس ماذا نتيجته، ويفلسف الإمام هذا المفهوم بشكل رائع أن الحاكم إذا صار محجوبًا عن الناس، ماذا يقول، يقول ما مضمونه: أولًا، لا يرى المشاكل على صعيد الواقع، يبتعد عن إدراك المشاكل ووضع الحلول لها، ويستمع عرض المشاكل عن طريق الناس الذين يتصلون فيه والمشاكل المعروضة عليه تقلّ، لأن الذي يجتمع معه يريد ألّا يزعج الحاكم. فتصبح القلّة التي تجتمع بالحاكم قسمين:

قسم يحاول جبر خاطر الحاكم، يتملق للحاكم يقول كلّ شيء على أفضل ما يرام. وقسم يعرض المشاكل كما هي. الحاكم حينما يجد نفسه أمام فئتين، فئة تزعجه، وفئة تسرّه بطبيعة الحال وبشكل طبيعي يبعد المزعجين الذين ينقلون له الحقيقة المرّة ويقرّب المتملقين الذين يغطون الحقيقة المرّة بغطاء مزيف. وبالتالي يصبح الحاكم بين المتملقين، يبتعد نهائيًا عن المشاكل، ثم مقياس الكفاءة يتحول إلى مقياس الولاء للحاكم فتُسلم الأمور إلى غير أهلها وينهار المجتمع.

وعلى صعيد الشعب البعيد عن الحاكم... بُعد الشعب عن الحاكم يكوّن حول إدراك الشعب حجابًا وهميًا. فيظن أن الحاكم شيء آخر غير الأشياء العادية. فيصبح أضعف في النقد وأعجز في عرض الحقيقة، ويشعر بقلّة صلاحياته وكفاءاته كشعب. وهذا هو الخطر الأصيل، يعني فقدان الثقة بالنفس وتصنيف الناس عند الشعب. بالنسبة إلى هذه المشكلة، نعيشها أيضًا وعلاجها جزئيًا ممكن، يحصل بيدنا: أن نبتعد قدر المستطاع عن الشؤون ما يسمى بالشؤون، نبتعد، نحاول أن نعيش كإخوة.

الكراسي لا تضيّعنا والمراكز لا تبعدنا. نتمكن أن نعيش بصورة حقيقة كإخوة متساويي الكفاءات.
وبالنسبة للتفاوت الطبقي الذي يحصل من المشكلة الثانية حلّها في الإسلام الزكاة. وأرجو أن يكون البحث الثالث عندنا، مسألة الزكاة. والزكاة في الحقيقة ليست ضريبة إسلامية بعكس ما هو شايع، بل الزكاة مخصصة لحلّ مشكلة الاختلاف الطبقي في الإسلام ونتحدث فيها إن شاء الله.
المشكلة الرابعة والتي حصلت من المشلكة الأساسية، وهي مشكلة العنصر والعنصرية والعائلية. لا شكّ أن هذه المشكلة لا تزال تشكِّل صعوبة بالغة، العلاج الأساسي أيضًا يجب أن يأتي من وراء الحكم ولكن نحن في إطارنا الخاص بإمكاننا أن نعالج هذه المشكلة.
المشكلة العائلية أن نتحمّس لعائلتنا أن نقف مع ابن عمنا سواء كان على حقّ أو على باطل، أن نتحول من حماة الحقّ إلى حماة العائلة. هذا انحراف، وتشييد وتكريس للانحراف. علينا أن نتجنب، وأن نتخطى، وأن نقول الحقّ ولو زعل منّا جميع [من في] العائلة ولو أدّى إلى نبذ، ولو انتهى إلى صعوبات. إذا نريد أن نخلق مجتمعًا يصون الإنسان المسلم، علينا شخصيًا أن نتجنب نتائج هذه الصعوبات، هذه المشكلة.

المشكلة العنصرية في المجتمع الإسلامي مشكلة جاهلية حاربها الإسلام بعنف، ثم رجعت من جديد لأجل موقف الخليفة الثالث، لتفضيل بني أمية على غيرهم ولاختصاص الأموال بهم. فإذًا، الذي يريد أن يعالج المشكلة يجب أن يتصدى لجذور المشكلة في نفسه أيضًا. بالنسبة إلى تحرّك الطاقات، وعدم تعطيل الطاقات وبالتالي من فروعها كما قلنا، إبعاد المرأة عن التحرك الاجتماعي أيضًا يجب معالجة هذا الموضوع، الحلول الجزئية معروفة، ولكن الحلّ الأساسي كما ذكرت وكما شاهدنا بقيام مجتمع إسلامي. والمجتمع الإسلامي لا يقوم إلّا بالوعي العام الإسلامي وبوجود الحكم الإسلامي وهذا لا يتمّ إلّا بعد التوعية، يعني بعد أن نعرف نحن الإسلام ونتأكد من ذلك ونُعرِّف الإسلام حتى نكوِّن الجو الملائم والمناسب لهذه الدعوة.
في التاريخ كثيرًا ما حصلت التوعية والعمل التثقيفي على صعيد التطورات الاقتصادية. وقد حصلت عشرات المرات في أوروبا، في فرنسا وغير فرنسا، وحصلت تطورات اجتماعية بعد تحضير وتطوير. أما محاولة الخلق بالقوة قبل الاستعداد والتوعية والتفهم فعملية بالغة الصعوبة. نسأل الله أن يكون لنا شرف الدورين والمهمتين، ولكن ابتداء من مهمة التوعية والتحرك الثقافي والشعور بأن الإسلام بالفعل يتمكن من حلّ المشاكل، وهذا بحاجة إلى دراسة وتوعية واسعة.
اليوم تُطرح أمامنا آلاف من المشاكل، كما تُطرح أمام الحكام. أنا ذكرت لكم الثورة الجزائرية كانت

تتغذى بقوة الإسلام في الجزائر نجحت الثورة بعد تضحيات، وبعد مرور سبع سنوات بصورة حادّة ومئة سنة ربما بصورة غير حادّة، الحكم الجزائري المنتصر على المستعمر أو الثورة المنتصرة، وجدت نفسها أمام مشاكل. من هذه المشاكل أن أكثر من تسعين بالمئة من الأراضي الجزائرية ملك للفرنسيين. من هذه المشاكل مشكلة البطالة. من هذه المشاكل مشكلة تجميد رؤوس الأموال في أيادٍ قليلة. من هذه المشاكل مشكلة ضعف إمكانات الدولة لأجل تشغيل الناس. الحكومة الجزائرية فتشت عن علاج إسلامي لهذه المشكلة، وقلّة الثقافة الإسلامية عندهم أدّت إلى أنهم تبنوا تجارب بشرية أخرى. وأنا شاهدت، بعد مرور سنة على ثورة الجزائر، كنت بمدينة الجزائر، بوقتها كان رئيس جامعة بولونيا موجودًا في الجزائر يعطي دروسًا في الاشتراكية العلمية، يعني كان يثقف زعماء الجزائر بالاشتراكية العلمية، أيّ الشيوعية طبعًا.

فإذًا، نحن علينا الآن كما نعرف حلولًا رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية أو غير ذلك، نعرف حلولًا فلسفية اجتماعية اقتصادية لمشاكل الحياة المعاصرة. علينا بالفعل أن نفتش عن حلول إسلامية لهذه المشاكل، حتى لا نبتلى بالتجارب الفاشلة للآخرين. في الخطوة الأولى علينا التفهم والتوعية. أما محاولتي المتواضعة، هذه الحلقات، أظن لا تكفي ولا تغني عن تحرك الطبقة المثقفة في التفتيش معي. فأنا أدعو الحاضرين وخاصة المثقفين من الحاضرين أن يفتشوا، وأن يطالعوا وأن يحضروا مواضيع، وسوف في المستقبل القريب نؤمّن لهم في نفس الندوة وفي كلّ ليلة لشخص أو آخر، ونزيد الندوات من جلسة إلى جلستين وثلاث حتى يتأمن لكلّ أحد من الشباب يتخذ مثلًا موضوعًا أو مشكلة، مشكلة تحديد الأسعار والحلّ الإسلامي، كيف تحلّ مشكلة تحديد الأسعار؟

واحد من الشباب يدرس، يفسر، يطالع، ثم يأتي ويجلس مكاني، وأنا أجلس مع المستمعين نناقشه حتى يتمكن من إقناع الحاضرين، حتى نتمكن بالفعل من التوعية والتثقيف الكامل. والآن أنا معترف بأنه وحدي لا أتمكن من القيام بكلّ هذه المهمات على الرغم من أنه أحضّر كلّ أسبوع، أستعد على طول. ولكن نريد تحركًا أكثر، لأن الوقت قليل والسبات كان عميقًا عميقًا، وطويلًا جدًا فعلينا أن نعالج وبعد ذلك لا نتأخر.

نرجع إلى الأسئلة: نعم!

س: مولادنا [...]

ج: والله ما أتصور، المهم أن نعرف الإسلام، الآن أنا بالفعل أوجِّه بعض أسئلة لنفسي، هل أنا واعٍ إسلاميًا؟

يعني أنا إذا كنت أقول كمواطن عادي، إذا استلمت مركزًا كبيرًا هل أنجح في التجربة؟ إذا أنا أصيب فرد من عائلتي بجرح أو بقتل هل أنا أتصرف عشائريًا، أو أتجرّد عن ذلك؟ إذا وجدت أنه عندي بعض ملاحظات، أنا لا أقول إن جميع المشاكل قابلة للحلّ على الصعيد الفردي. كما قلت لا يمكن فصل الفرد عن المجتمع ولكن على الأقل توعية، يعني أنا ونحن في حلقات التوعية عندما نريد أن نشتغل عملًا ثقافيًا، المفروض أنه على الأقل في هذه النواة المؤلفة من خمسة أشخاص، نحن خلال هذه الفترة، تكون علاقاتنا تجسيدًا لمفاهيمنا. ولا أقول إن الإسلام ولو كانت القدسية قدسية إلى السماء، هذا لا يعني أنه يحتاج إلى وقت طويل لكن المهم أن نعرف. أنا أعتقد أنه لكي نعرف الإسلام، لو عرفنا خلال شهر، عظيم يعني هذا توفيق وفرصة كبيرة. أني أعرف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مهّد للمجتمع الإسلامي المدني 13 سنة في مكة طبعًا هذا كان عند بدء الإسلام. قد نقول إننا من الوعي وصلنا إلى درجة لا نحتاج إلى 13 سنة، وقد نقول إن الانحرافات جعلتنا أقلّ من المجتمع الجاهلي المكي، الذي على الأقل ما كان خاضعًا للاستعمار، ما كان مايعًا، ما كان متملقًا، ما كان مجاملًا، ما كان مسايرًا، ما كان كذابًا، ونحن كذابون... نحن نقول كلمة ولا نقصد معناها. نحن نجامل الناس، لا نقول الحقيقة. هذا مجتمعنا مجتمع منحط، يعني الكلمة فقدت محتواها ومعناها وتصرفاتها. ربما نحن نكون أقلّ من المجتمع الجاهلي المكي الذي احتاج إلى 13 سنة حتى يصبح مجتمعًا إسلاميًا صحيحًا.

وعلى كلّ حال، "كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته"، فلنجرِّبْ! كلّ واحد منّا مع مجموعة من الشباب، مع مجموعة من الأصدقاء كعمل ثقافي. هذا العمل الثقافي هو التعرف على الإسلام والتعريف بالإسلام. فإذا وجدنا أنه بالفعل نحن صرنا مستعدين، يقوم واحد بالعمل الصحيح المنظم لتكوين المجتمع وليس فيه أيّ حزازة. أنا أتذكر عندما بدأتُ في لبنان منذ عشر سنوات، كانت الشيوعية في لبنان أسوأ التهم. يعني كانت تهمة كبيرة إذا قيل لواحد شيوعي، حتى خصومنا الذين يستعملون كلّ يوم سلاحًا معيّنًا ضدي في وقتها كانوا يتهمونني بالشيوعية وقتها. الآن مرّ عليّ عشر سنوات أصبحت الشيوعية مثالًا للتقدمية. هذا ما حصل بشكل طبيعي هذا حصل نتيجة للجهد والتعب. أصحاب المبدأ، جماعة تعبت وضحّت واشتغلت، لها حقّ أن تصبح بدرجة من الموضة

وصلت لدرجة الموضة. ربما اليوم إذا أراد الشخص أن يشتغل على هذا الصعيد، أيضًا يُتهم ولكن فليكنْ، مثلما... إذا سمحتم نكفّي هذه الأسئلة... (كم سؤال باقٍ) نقرأها وننتهي.

س: ما أتيتم على ذكر المجتمع بعد الحسن والحسين، أيّ العهد الأموي والعهد العباسي، الازدهار؟

ج: بصورة موجزة ذكرت، ولكن إذا أردنا أن نتحدث في التفصيل يأخذ وقتًا طويلًا. أنا أعتقد أن العهد الأموي، يعني مثل أيام هشام بن عبد الملك، عهد الازدهار في الشام كما نعرف أنه في عهد هشام بن عبد الملك حصل في الشام أسلوب توزيع المياه، نهر بردى كان يتقسم إلى أربع برك في أربع مناطق من الشام، ثم كان يدخل بواسطة ممرات مسقوفة إلى كلّ بيت وفي كلّ بيت كان هناك ماء للشرب وماء للتنظيف، وكان هناك مجارير. هذا في أيام هشام يعني في أواخر أيام بني أميّة، طبعًا عهد الازدهار.

أما أيام العباسيين، فكان الازدهار أكثر بكثير من أيام الأمويين لكن أنا سميته الامبراطورية هذا، الامبراطورية الإسلامية ليست الإسلام الحقيقي؛ لأنه كلّ مجتمع قوي، وكلّ امبراطورية لها مدة من الزمن قرن، قرنين نتائج، وهذه النتائج تستمر، ولا يعني أن الامبراطورية لا تتمكن أن تنجح. نجحت الامبراطورية الإسلامية، ولكن هذا غير ما كان يريده الإسلام. دخلت قوات محمد الفاتح إلى اسطنبول بعد حصار أخذ قرنًا ونصف فتحوا اسطنبول، وكانت اسطنبول بيد البيزنطيين كما تعرفون. فمحمد الفاتح وعد جيشه بأنه كلّ إنسان يدخل بيتًا يضع علمًا على مدخل البيت، فكلّ ما في البيت من أموال وجاه وأعراض مباح له. ثلاثة أيام أباح البلد لهؤلاء. طبعًا هذا الإسلام لا يرضى عن هذا التصرف. ولكن الرجل تصرف كامبراطور، كحاكم غازٍ وسمي بمحمد الفاتح.

فإذًا، العهد العباسي، والعهد المزدهر والذي أنا سميته قوة الاستمرار أو الامبراطورية مع الاعتزاز بإيجابياتها، لا نتحمل مسؤولية سلبياتها.

تؤيد ثورة الحسين؟ بطبيعة الحال! ونقول يا ليتنا كنّا معك فنفوز فوزًا عظيمًا، وإن شاء الله نكون من أنصاره لا شكّ أن ثورة الحسين هي التي أنقذت المجتمع الإسلامي من التناسي العام المطلق للمبادئ، وإبقاء البقية الباقية من الروح الإسلامية بين المجتمع، حتى يومًا ما يتمكنون من العودة إليها.

س: نوعية الفترة للبلاد العربية مثلًا، هكذا أفهم، يسأل السائل هل تعتقدون بالمجاهدة أم إبعاد النصائح عن الطريق... إلى توسيع سلطنة الدولة أيّ امبراطورية.

ج: أتصور أجبت عن هذا السؤال باعتبار أنه كما ذكرت قبل كلّ شيء نحن بحاجة إلى العمل الثقافي، العمل التنظيمي.

س: الطبيعة الحتمية لكلّ مجتمع أن يعيش بطبقاته المختلفة، كما أن الإسلام مرّ في جميع مراحله بتجاذب طبقي، في المراحل الأولية والمراحل التي ذكرتم وتوصل إليها المجتمع آنذاك، فلماذا كان الصراع هناك جائزًا في زمن النبي ولم يؤثر تأثيره المباشر؟ وكان هنا صراع يهدّد الإسلام؟

ج: الحقيقة أنا لا أتمكن أن أستوعب هذا السؤال، لأن تعبيراته لا تعبِّر عن مقصد السؤال. إذا كان المقصود من هذا السؤال أن الصراع الطبقي هو الذي أوجد المناخ الملائم لظهور الإسلام، كما هو تفسير ماركسي للظاهرة الإسلامية طبعًا نحن لا نؤمن بذلك. الماركسية أو ما يسمى بالديالكتيكية، بالـ Materialisme التاريخي أو بالديالكتيكية التاريخية إذا صحّ التعبير، تحاول أن تحصر جميع التحركات الاجتماعية في الصراع الطبقي أو في التحرك الاقتصادي، طبعًا هذا بحث طويل. إن الاقتصاد هو أساس وضع المجتمع، وتحرك المجتمع من حال إلى حال هو نتيجة تحرك الوضع الاقتصادي من وضع إلى وضع. وتحرك الوضع الاجتماعي من وضع إلى وضع هو المجسد بالصراع الطبقي. هذا رأي الماركسيين في الظاهرة الإسلامية وفي جميع الظاهرات الأخرى، طبعًا نحن لا نعتقد بذلك ونحن أساسًا لا نؤمن بأن الأساس الوحيد لتحريك المجتمع من حال إلى حال يعود إلى الوضع الاقتصادي. لا ننكر أن الوضع الاقتصادي له الدور الكبير في تطوير المجتمع ولكن ليس هناك من دليل يؤكد أن جميع التحركات الاجتماعية ناتجة عن التحركات الاقتصادية. وتفسير الإسلام بظاهرة اقتصادية، في منتهى الضعف لأنه ليس هناك أيّ بادرة تؤكد أن الإسلام كان تعبيرًا عن ثورة طبقة ضد طبقة أخرى. تحريم الإسلام للربا صحيح، تحريم الإسلام للعائليات صحيح، محاربة الإسلام للشرك وما وراء الشرك صحيح، ولكن أيّ واحد من هؤلاء ما عدا حرمة الربا تعود إلى الوضع الاقتصادي. والنظام الربوي ليس نظامًا رأسماليًا، مع الأسف الأنظمة الاشتراكية أيضًا ابتليت بالأنظمة الربوية كما نحن نشاهد ذلك.
لا دليل إطلاقًا على أن الظاهرة الإسلامية كانت ظاهرة اقتصادية، كما أن ظهور السيد المسيح أيضًا تفسيره الماركسي أن هناك حركة اقتصادية أو ثورة اقتصادية. وعلى كلّ حال البحث بحاجة إلى دراسة واسعة وتخصيص حلقة أو أكثر من حلقة حول المادية التاريخية.

س: هل التاريخ ينقسم إلى أربع مراحل كيفية ومراحل صغيرة كمية كما يسمونه المرحلة الأولى الكنون الأولية والمرحلة الثانية الإقطاع والمرحلة الثالثة الرأسمالية والمرحلة الرابعة الاشتراكية هل نحن نوافق على تقسيم التاريخ إلى أربع مراحل؟

ج: حسبما أفهم أن هذا اجتهاد ورأي بعد الوقوع، يعني محاولة الماركسية أن تعطي طابعها المميز الخاص لجميع الشؤون في الأخلاق والاقتصاد والتاريخ وفي كلّ شيء. أما على الصعيد العلمي لا تتمكن إطلاقًا أن تثبت أن التحركات الاجتماعية كانت منقسمة إن هذه الأقسام الأربعة وحتى الثورة ثورة أكتوبر في روسيا تؤكد أنه ما كان المجتمع الروسي هو المجتمع أكثر رأسمالية من المجتمعات الغربية. وحسب اقتراحات أو افتراضات ماركس المجتمع الالماني كان أقرب تحولًا نحو الثورة الشيوعية من المجتمع الروسي. وآخر مجتمع كان يمكن أن يتحول إلى المجتمع الاشتراكي كان المجتمع الصيني الذي تحول رأسًا من الإقطاعية، وقفز مرحلة الرأسمالية إلى المرحلة الاشتراكية، والاشتراكية العميقة العنيفة كما نعرف يعني أدقّ من المجتمع الاشتراكي الروسي. فإذًا، هذا بحث تاريخي ربما نتوفق إن شاء الله في التحدث عنه، ولكن إطلاقًا الإسلام ليس ظاهرة طبيعية نتيجة للصراع الطبقي إطلاقًا.

س: ذكرتم سوء توزيع بعض الخلفاء للثروة، ألا تعتقدون معي بأن هذا انحراف عن الخطّ الإسلامي وخلافًا لحكم الله؟

ج: بلى، أنا أعتقد ذلك.

س: هل هناك تعارض بين الزواج والعمل؟ وإذا صحَّ هذا ألا نكون قد استغنينا عن خدمات نصف المجتمع الإسلامي وهذا سيجعلنا نتخلف عن الأمم الأخرى؟

ج: كما ذكرت أنا، ليس هناك أيّ منع للعمل بالنسبة إلى المرأة وقلت في خلال عدة كلمات:
أولًا، المرأة مخيّرة في الزواج ويحقّ لها أن تمتنع عن ذلك، المرأة غير مجبورة وإن كانت العزوبة مكروهة للرجل والمرأة على حدّ سواء، وشرار موتاكم العزّاب كما يقول الحديث الشريف. ولكن لا يفرض لا على الرجل ولا على المرأة الزواج، فبإمكانها من أول الأمر أن تختار العمل والخدمات هذا أولًا.
ثانيًا، بعد أن تتزوج المرأة لا يجب عليها إطلاقًا الخدمات البيتية. بإمكانها أن تتقاضى أجرًا عن

الخدمات البيتية حتى الرضاعة. ولكن كما قلت الإسلام يكوّن المناخ الملائم لتفرّغ المرأة للحياة البيتية، يعني يفرض على الرجل الإنفاق حتى لا تحتاج المرأة إلى العمل المباشر حتى تتمكن من التفرّغ للعمل البيتي.

ثم المزايا الروحية والمادية التي يفترضها الإسلام للأمومة مزايا كبيرة. وبالفعل تربية الفرد التي هي شغل الأم ليست أقلّ أهمية من أيّ واجب آخر. مثلًا، الأم تلعب دور المعلم والعالم الديني، والقاضي والطبيب وغير ذلك وحدها، لأن الأم إذا ما راقبت الصحة في أيام الحمل والولادة والرضاعة يصبح الطفل مريضًا بأمراض لا علاج لها حتى عند أهمّ الأطباء. ثانيًا، توجيه المرأة في الأساس للطفل، هو الأساس لتكوين الكيان الثقافي والكيان الديني عند الطفل. فإذا تربى الطفل، تربية وهمية خيالية أسطورية من الطفولة يؤمن بالجن والأساطير وهذه المسائل - بالجنّ بالمفهوم الشايع- وإلّا كلّنا نؤمن بالجنّ لكن بالمعنى الآخر أنه ظهر في الحمام الجنّ وطلع... ورأسه كذا ورجله (سمّ) وهذه المسائل... رجله مثلًا مثل رجل الحافر، وأمثال ذلك هذه أكاذيب يعني شائعات. البيت الفلاني فيه جنّ والجنّ أتى على بطن فلان وهذا مات وهذا كابوس، هذه السخافات... وشقي وسعيد ومعزى في الطريق وجرّة فارغة وجرّة ملآنة... كلّ هذه المجموعة من السخف الذي ملأ أدمغتنا. إذا الأم تريد أن تربي أبناءها على هذه الطريقة طبعًا في المستقبل لا يمكن علاج هذا الطفل. الأربعاء لا يسافر وعصر الأربعاء لا يزور المريض، وعندما يعطس لا يسافر، وعندما يرى جرّة فارغة... خيبة أمل وكلّ هذه المسائل.

بطبيعة الحال، إذا كانت الأم واعية تتمكن أن تكون الشخصية الثقافية والدينية للطفل، بحيث يتمكن الطفل في المستقبل من مقاومة الانحرافات. بينما إذا كانت الأم سخيفة خاضعة لهذه الأفكار لا يمكن أن ينجو ابنها من رواسب الصعوبات.

س: سؤال للمرة الثانية نطلب من سيادتكم إثبات أو مسطرة من الكلام الذي تفضلتم به عن أن بعض الخلفاء وزّع المال بالتساوي والآخر حسب الطبقية والآخر لأنسابه.

ج: هذا بإمكانكم مراجعة جميع كتب التاريخ ابتداءً من "الإمام والسياسة" لابن قتيبة، "تاريخ الطبري"، "تاريخ ابن الأثير" جميع التواريخ، تاريخ "الفخري" لابن الطقطقي أو مثلًا إذا أردتم كتابًا خاصًا بهذا الموضوع كتاب اسمه "مشاكلة الناس لزمانهم" كتاب صغير يتحدث مفصلًا

موجود بالمكتبات بإمكانكم أن تراجعوا، وعلى كلّ حال إذا تريدون دراسة جامعية في جميع كتب التاريخ موجود كيفية توزيع الخلفاء الثلاثة للأموال.

س: في دراسات الأدب الأموي، أن معاوية بن أبي سفيان أغدق الأموال على أولاد الإمام عليّ لإلهائهم عن المطالبة بالخلافة، وكان مصيبًا في ذلك؟

ج: هذا غير صحيح، لأن أولاد الإمام عليّ المؤلفين من الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وإخوانه الثلاثة ما أُغدق عليهم الأموال إطلاقًا، ولا أُغدق على أولاد الإمام عليّ المعرّف عنهم بالأئمة، فقد كانوا يعيشون في أضيق عيش ممكن. وكما ذكرت في الاجتماع الماضي الإمام موسى بن جعفر، بناته ما كنَّ يملكن الثياب للصلاة. فكانوا يعيشون في أشدّ ما يمكن من الحراجة، وكانوا يُحارَبون محاربة اقتصادية، سياسة التفقير. فهذا غير صحيح.
هناك كان بعض السادة يعني من الأحفاد، ما عدا فرع الأئمة، بعض الشرفاء حسب تعبيرهم، كانوا مقربين من الخلفاء. الإمام أيضًا له مواقف سلبية تجاههم، فكانوا يقفون مواقف مخاصمة، وكانوا أيضًا مقربين من الخلفاء، لكن ليس أولاد الإمام يعني أحفاد وأحفاد الأحفاد.

س: **يوجه إليّ أحد الإخوان هذا السؤال: تقولون في مناسبات كثيرة، أنا لا أريد أن أتدخل في السياسة! ونحن ضد هذا القول على اعتبار أن السياسة تتدخل هي إن لم نتدخل نحن في كلّ جزئيات حياتنا، بل نحن نرى أن اجتماعنا هنا هو نوع من السياسة، بل ما هي الظروف التي وُجِدَ فيها المجلس الشيعي؟ ثم ما سبب حملة فلان وفلان على المجلس الشرعي الشيعي؟**

ج: يا سيدي، السياسة التي لا نريد أن نتدخل فيها، أنا الحقيقة أحبّ أن أتحدث مع الإخوان بهذا الموضوع بشكل صريح. دائمًا حتى قبل تأسيس المجلس، أنا كنت أوجه هذا السؤال لنفسي. نحن، يعني أنا كرجل دين له شيء من القوة الاجتماعية، ولو جزئية، قيمته للتدخل في السياسة لأيّ سبب؟ لأني لو كنت أنا رجلًا عاديًا، لا أحتل منبرًا أو محرابًا أو صلاة أو مقامًا يؤهلني للحكم بين الناس لما كان لكلمتي تأثير حتى أتدخل في السياسة، فإذًا، أنا أريد أن أتدخل في السياسة بسلاح غيري يعني بمركزي الديني الذي هو ملك لصاحب هذا الدين وليس ملكًا لشخصي. هذه الكرامة الاجتماعية التي هي ملك صاحب هذا الدين يجب أن تصرف في خدمة الدين. أما في خدمة غير الدين فهذا صرف لمال الغير في مصلحة الآخرين. يعني أنا مثلًا إذا استعملت منبري الذي هو منبر رسول الله، ومحرابي الذي هو مركز عبادة الله وكرامتي بين الناس، التي هي بقايا من عقيدة الناس

بالأئمة، إذا استعملت هذه القوّة لانتخاب فلان ضد فلان أو لترشيح فلان ضد فلان، هذا معناه استعملت الذي لا أملك، يعني الذي هو للآخرين، في خدمة الشخص الآخر. وهذا شيء لا يجوز، هذا هو مفهوم عدم التدخل في السياسة.

وكنت أقول في نفس الوقت، إذا وُجِدَت في العالم سياسة محمدية، يعني وُجِدَ هناك صفّ في العالم يجسد السياسة الإسلامية، فإذا صُرِفَتْ هذه الطاقات في خدمتها فأنا مصيب ووضعت الأمور في موضعها، وأمام الأمور الاجتماعية مثلًا، إيواء الأيتام، تحسين حال الناس، رفع مستوى معيشة الآخرين، إصلاحات وعمران في الجنوب وأمثال ذلك.

كنت أقول إن هذه الأمور تحصّل وتنفّذ على طريقتين. الطريقة الأولى، الطريقة المباشرة أنه أنا أخاطب المسؤول، أنا أخاطب الناس، أنا أشتغل... هذا عمل اجتماعي والذي لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم. والطريقة الثانية، أن تأتي بطريق السياسيين. يعني أنا أنتخب فلانًا لكي يعمل الشيء الفلاني، هذا اعتبرناه سياسة وما تدخلنا فيه ولا نتدخل. أما الذي أمامنا الآن كمجلس إسلامي شيعي أعلى والذي يجسد مجموعة الطائفة، لا شك أن هذا المجلس له مهمات اجتماعية كما قلنا. يجب أن نميّز بدقة بين مهماتنا الاجتماعية والمهمات السياسية التي هي بعيدة عن المجلس، والتي هي خارجة عن مهمات المجلس. أما السياسة التي تتدخل في حياتنا فأنا أعترف معك، أنه نعم... إذا ما تدخلنا فهم يتدخلون، وتدخلهم بطبيعة الحال يؤدي إلى إحراج. ولكن إذا تمكنوا بتدخلهم أن يدخّلونا في السياسة فهذا معناه أنهم توفقوا في جعلنا منحرفين، نرجو أن نكتفي بالدفاع. إذا تدخلوا ندافع فقط لا أكثر، يعني لا نتدخل في شؤونهم الخاصة لأنه كما قلت تدخلنا في شؤونهم هو صرف طاقة في غير موضعها.

أما الظروف التي وُجِدَ فيها المجلس الشيعي، فكنت أتمنى أن الأخ يكون عندنا أول أمس مساء الخميس حتى أقول له أن لبنان المؤلف من سبع عشر طائفة، آخر طائفة تنظمت هي الطائفة الشيعية. 16 طائفة تنظمت قبلها. ونحن صبرنا حتى نجد أن أيّ طائفة أخرى أيّ مؤسسة منظمة أخرى، هل تهتم بالأميين خاصتنا؟ هل تهتمّ بالمشردين؟ هل تهتمّ بالأوقاف؟ هل تهتمّ بالمناطق المتخلفة؟ وجدنا أن لا أحد اهتمّ بنا، فاضطررنا... آخر شخص فكر في تنظيم طائفته طائفتنا وليست ظروفًا سياسية. الظروف التي كانت وراء تأسيس المجلس الملي الدرزي قبل ست سنوات والتي كانت لتأسيس المجلس تنظيم الطائفة الإسلامية السنية قبل 16 سنة، سنة 1955، والتي كانت وراء المجالس الملية لمختلف الطوائف منذ عهد الاستقلال إلى الآن، هي الظروف التي كانت وراء

تأسيس المجلس الشيعي. أنا لا أعرف لماذا تأسيس الطائفة الفلانية والطائفة الفلانية ليس سياسة، وتأسيس طائفتنا سياسة!

لا أعرف لماذا من سنة 1955 لا أحد قال للجماعة أو سنة 1946 لا أحد قال للآخرين أنتم تفرّقون، ونحن عندما أردنا أن نؤسس مجلسًا، قال أنتم تفرّقون؟ أنا لا أرى ذلك إلّا منتهى الضعف والميوعة والانهيار أمام القيل والقال. وأنا إن شاء الله لا أخضع للقيل والقال ولا يوم من الأيام. أنا أعتقد أن مشاكلنا 43% من الأمية، يعني أكثر الطوائف أمية في لبنان الطائفة الشيعية، نسبة المشردين في شوارع بيروت، نسبة التخلف في المناطق، نسبة الحرمان في الوظائف، هذه المسائل وغير ذلك كفيلة بأن نفكر بالفعل بعمل جماعي، نجتمع لأجل معالجة مشاكلنا، ولأجل إكمال أوضاعنا الاجتماعية وخاصة في البلد الذي لا تتمكن أو لا تحاول الدولة أن تعالج كلّ المشاكل. 36% من الطلاب يدرسون في المدارس الرسمية، 64% منهم يدرسون في المدارس الخاصة. فالطائفة التي ليس لها مدارس خاصة يبقى ثلثي أبنائها أميين بطبيعة الحال. نسبة الاستشفاء، نسبة الجامعات، كلّ هذه المواضيع. نحن أيضًا نريد أن نكون مواطنين عاديين، وليس مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة. فإذًا، لا يوجد أيّ أسباب سياسية وراء تأسيسنا إلّا شعورنا بكرامتنا وبوجودنا وبأننا أيضًا بشر. هذه الأسئلة كان يجب أن توجه إلى الطوائف الأخرى التي أُسّست قبلنا ونحن آخر من يوجه إليه هذه الأسئلة.

س: **لماذا لا تهتمون بتأسيس مدرسة تُخرّج الشاب المسلم والفتاة المسلمة واعتمدتم التدريس الديني فقط بالمدارس الرسمية، مع أنه لا يقوم بالمطلوب؟**

ج: أولًا، التدريس الديني الذي اعتمدنا، كان على أساس مبدأ أن هذه المدارس الرسمية الموجودة هل يجوز أن نتركها بلا تعليم ديني؟ بطبيعة الحال لا، طالما أن هناك مئات الألوف من أبنائنا في المدارس يأخذون كلّ شي ما عدا الدروس الدينية فلا يجوز أن نهملها ولا نعطي الدروس الدينية، وهذا الواجب. نحن نشكو العجز المالي، وأقول لكم بصراحة إن عشرة آلاف ليرة ميزانية التعليم الديني بالشهر غير مؤمنة عندنا. نستدين، بإذن الله إلى آخر السنة، حتى نتمكن من تأمينها. فتأسيس مدرسة إذًا بحاجة إلى نفقات مالية، خصوصًا أن المدارس الخاصة في لبنان في دور الانهيار. الشباب الذين يشتغلون في حقل التعليم والتربية يعرفون أن السياسة التربوية في لبنان كانت سياسة تشجع المدارس الخاصة، ولكن المدارس الرسمية فرضت نفسها وحسب الإحصاءات

الموجودة عندنا المدارس الثانوية في لبنان الآن أصبحت تلتحم وتقتحم المدارس الخاصة لأن نسبة النجاح ونسبة مستوى الدراسة في المدارس الثانوية الرسمية أصبحت أفضل من المدارس الخاصة. وهذا الدور سوف يأتي إلى المدارس الرسمية في الابتدائية. وأنا أعتقد أن عمر المدارس الخاصة في لبنان في المستقبل القريب، لا يتجاوز عشر سنوات في انهيار كلّي، يعني المدارس الرسمية هي التي تطغى على كلّ لبنان، إلّا المدارس الخاصة المذهبية، التي هي للخلّص وللنخبة القليلة القليلة جدًا. فإذًا، علينا أن نتمكن من تأمين الجو الملائم في المدارس الذي هو مدرسة باقية دائمًا.
أما لماذا لا نهتمّ بتأسيس مدرسة؟ بالفعل اهتممنا وعندنا الآن مدرسة اسمها مدرسة جبل عامل المهنية في صور، فيها 300 طالب داخلي كلّهم موجودون، ابتدائية، ومهنية. والذي يريد أن يعرف فليذهب عليها مدرسة ممتازة، ونحاول أن نربي شبابًا مؤمنين مسلمين ملتزمين بشكل صحيح وإن شاء الله نتوفق في ذلك. وأما الفتيات فعندنا تجربة مدرسة مهنية في صور أيضًا في زاوية من البلاد فيها عدد قليل للتدريب المنزلي، هذه المؤسسة إذا نجحت وتوفقنا في تأمين بعض الشؤون المالية إن شاء الله نقوم بهذه المدرسة وإن شاء الله نتمكن من إقناع الكثيرين من الإخوان لأجل تأسيس هذه المدارس وتوجيه هذه المدارس وخلق المناخ الملائم لـ...

س: من المسؤول في حالة خروج الأولاد عن طاعة الوالدين فيما يخص التعاليم الإسلامية بعد بلوغهم سن الرشد؟

ج: هذا السؤال التقليدي. هل الأب هو المسؤول؟ أو الأم مسؤولة؟

المسؤول المجتمع ككلّ. من الصعب جدًا أن يسلك الإنسان في البحر ولا يتبلّل. مشكلتنا المجتمع، مشكلتنا الشارع، مشكلتنا البيت، مشكلتنا المدرسة. ولكن لا يمكن للأب والأم أن يتنصّلا من المسؤولية. كلّكم مسؤول عن رعيته. فالأب أيضًا مسؤول، والأم أيضًا مسؤولة، أيّ واحد أكثر؟ بمقدار وعيهم وبمقدار طاقتهم، الأوعى والأكثر طاقة هو مسؤول أكثر.

س: ما هو تأثير الماركسية على الدين الإسلامي وخاصة في لبنان، وما الأساليب التي يجب على المسلم اتباعها للقضاء على هذه الآفة التي شملت معظم المسلمين تحت رايتها؟

ج: أتصور أن فهم الإسلام هو العلاج. السبب في ذلك أن الذي يتبنى الماركسية، لماذا يتبنى الماركسية؟ الشاب الذي يعتنق المذهب الماركسي على الصعيد الاقتصادي، وعلى الصعيد السياسي

هذا أيضًا إنسان شريف يتمنى الخير لمجتمعه، ويريد تحويل المجتمع إلى وضع أفضل. مهما قلنا: ألحدناهم! كفّرناهم! أبعدناهم! مهما قلنا هذا الشاب الذي تبنّى الماركسية، ليس نكاية بفلان أو كرهًا للإسلام، أبدًا! وإنما رغبة في التفتيش عن الطريق الذي يجعل المجتمع أفضل بكثير. فإذا وضعت أمامه بديلًا وأفهمته، ووضعت بتصرفه من الكتب والمجلات والنشرات والكراسات والدراسات والمحاضرات ما وصل إلى كلّ بيت أو إلى كلّ فرد، فوجد أن أيضًا الإسلام علاج للمشكلة، عند ذلك ليس أمامك أيّ عذر فبإمكانك أن تختار. فإذًا، المشكلة تُحلّ إذا قدّمت الإسلام بالشكل الصحيح المدروس المقنن المعاصر، وجعلت الحلول الإسلامية أمام هذه المشاكل، وهذا الشيء الذي يجب أن يكون.

س: سيدي [...]

ج: نعم، عدم التنظيم يعطيهم لعدم تمكنهم من تقديم الوعي وهذه الأشياء.

س: بناء المجتمع الإسلامي بدايته فهم الإسلام ونقله للمجتمع عامة، هل نتمكن من بناء المجتمع الإسلامي وتثبيته بدون التخطيط لاستلام الحكم؟

ج: أجبت أنه لا يمكن استلام الحكم دون التوعية والفهم. وإلّا أنا متذكر أن أحد العلماء الكبار الذي كان يشتغل بالحركات الثورية في الشرق الأوسط، وهو كان نسيبي وأعرفه، ورجل كان متحمسًا جدًا سألته صحفية فرنسية بعدما هو تحدث عن الإسلام وحكم الإسلام، وإسلام إسلام إسلام... آخر شيء قالت له: طيب، وما هو الإسلام ونظام الحكم في الإسلام؟ فسكت. إذًا، اليوم سلمونا الحكم، تفضل مثل الجزائر التي قلت، تفضل! أمامك بطالة! أمامك أسعار! أمامك ألف مشكلة! كيف تحلّ المشكلة إذا ما عرفت الإسلام؟

س: هنا بعض الأسئلة التي وُضِعَ الجواب لها أن ما مخططك للعمل؟ وأمثال ذلك.

ج: أنا في خدمتكم لأنه أنا الحقيقة أفكر أن أفضل وسيلة [هي] التوعية في المرحلة الحاضرة. لا أقلّل من هذا الدور الذي يأتي مني يعني أنا أتمكن أن أكون فيه فعّالًا ومؤثرًا، التوعية والمناقشة والحوار. وكما قلت الواجب ليس واجبي أنا وحدي، واجب الجميع فأنا أتمنى أن الشباب يساعدونني في توعية الشباب والمجتمع إسلاميًا، ودرس الموضوع وأن يحضِّروا أيضًا مواضيع في المستقبل القريب. وتكرار هذه الجلسات، حتى تكون بالفعل وسائل كفيلة ومعينة لأجل التثقيف

الإسلامي الشامل. وطبعًا بطبيعة الحال اقتراح الشباب بإيجاد نشرة أو مجلة أيضًا، سوف يُنجز بإذن الله.

س: أودّ أن أتعرف إلى موضوع يهمّ الكثير من المسلمين وأخصّ منهم الشيعة وهو موضوع الذبيحة، هل يحقّ للمسلم أن يأكل لحمًا، مصدر ذبحه بلد أجنبي؟ يعني لحوم مجلدة إذا كانت هذه اللحوم لحومًا تباع من قبل مخازن أصحابها مسلمين؟

ج: هذا سؤال فقهي كما تعرفون، وجوابه أنه نحن حسب الآية الكريمة ملتزمين بالمبدأ: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه} [الأنعام، 121]. فإذًا، أيّ لحم نعرف أن اسم الله ما ذُكِرَ عليه يعني عند الذبح ما قيل بسم الله، لا نتمكن من أن نأكله. فإذا شككنا هل سُمِيَ اسم الله على هذا اللحم أو لا؟ هناك قواعد فقهية: أصل عدم التزكية يؤدي إلى حرماننا من أكل هذا اللحم المشكوك. نعم! إذا أخذناه من يد مسلم أمارة على ذبيحته، إلّا إذا عرفنا أن هذا اليد هذه اليد مسبوقة بيد غير المسلم. هناك لحوم مكتوب عليها صنع الإسلام أظن هذا يكفي لاستعمالها.

أما ما ورد في القرآن الكريم من الآية الكريمة: {وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم} [المائدة، 5]. فهذه الآية في الحقيقة آية اجتماعية وليست حكمًا فقهيًا. يعني في سورة الأنعام بعد ذكر الآيات الواردة في الاتفاقات العامة، نجد هذه الآية: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} [المائدة، 3]، ثم تأتي هذه الجملة: {اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ} [المائدة، 3]، وبعد ذلك تأتي هذه الفقرة: {وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم} [المائدة، 5]. حسبما يفهم من مجموع الآية أن المجتمع الإسلامي كان محذرًا عليه اللقاء مع غير المسلمين، نتيجة لضعف الشخصية الإسلامية صيانة للشخصية المسلمة ومنعها عن الذوبان. فبعد أن أُكمل الدين وأصبح المسلم لا يخشى إلّا من الله، أصبح المسلم مباحًا له اللقاء والأكل عند غيره، وأكل الغير عنده يعني يعني التفتّح على الآخرين، أما ما التفاصيل تفاصيل مبينة في الآيات الأخرى.

س: سؤال حول علاقة شاب بفتاة وبالنسبة للزواج، صاحب السؤال الممكن يوجه إليّ سؤالًا خطّيًا أو يسألني [...].

ج: [...] مواضع الزينة حدّدها الإسلام بالشعر والعنق والصدر والأرجل إلّا ما ظهر منها إلّا الوجه والكفين، فالحجاب الإسلامي عبارة عن ستر الشعر وستر العنق والصدر وستر الأيادي والجسم ما عدا الوجه واليدين وباطن القدمين، يعني ما تمارسه المرأة المسلمة في الحج، عدم تغطية الوجه؛ فإذا كان المقصود من ظهور عائشة يعني وجهها مكشوفًا، نعم وجهها [...]

س: قلتم إن النبي (عليه الصلاة والسلام) كان يعرض عمن لم يكن له حرفة فلماذا لم يؤمِّنه بعمل بدل الإعراض عنه؟

ج: سؤال جميل جدًا، ولكن أتصور حسبما أفهم أن الذي لم يكن له حرفة وكان عن عجز، يعني ما وجد حرفة، ليس معقولًا أن يعرض عنه النبي. يعني، عن الكسول، يعرض النبي، يعني عن الذي يتمكن من الشغل ولا يشتغل. والحقيقة أن قسمًا كبيرًا من البطالة يعود إلى الإنسان نفسه. أو لا يتعلم ما يمكنه من العمل، اكتساب كفاءات. كلّنا نقبل على المدارس الثقافية، ونترك الدراسات المهنية. وقسم منا يتأبى من الأشغال، نعتبر أن الأشغال الفلانية من دون شأننا. أنا أتذكر عالمًا كبيرًا في كربلاء اسمه السيد زين العابدين الكاشاني، وكان رجلًا جليلًا جدًا، في أحد الفترات مرّ بظروف ضيقة، ففتح دكانًا وهو عالم كبير. أنا أعرف مهندسًا في طهران، اضطهد من قبل الحكم فوضع أمام الجامعة كرسيًا وكان يشوي الذرة، وكان يجتمع عليه الناس حتى وجدوا أن هذه فضيحة فجاؤوا ووظفوه في مركز آخر.

الإنسان إذا كان يريد أن يشتغل فهو يقدر أن يشتغل ولكن المهم أن يكون ذكيًا وعاقلًا، ويختار الشغل المناسب: يبيع جرائد، تاكسي. أنا أعرف أيضًا ضابطًا كان يسوق تاكسي في بلد من البلاد مدة من الزمن. لست أقول في جميع حالات البطالة إن الحقّ على الناس العاطلين عن العمل ولكن أيضًا بإمكانهم أن يشتغلوا إذا أرادوا. كثير من الناس لا يتمكنون من العمل، عند ذلك النبي حتمًا لا يعرض عنهم، وبالعكس يقبلهم ويؤمِّن لهم الشغل.

س: ما موقفكم من الحملة الشعوبية على شخصكم وعلى بيت الطائفة؟

ج: يمكن يقصد غير الشعوبية، لأنه يوجه لي تهمة الشعوبية، يعني التفرقة العنصرية بين العرب والعجم وأمثال ذلك. ولكن تجاه الحملات التي تُوجَّه لي، كما قلت موقفنا الدفاع. الدفاع العلمي، الدفاع الفكري، الدفاع الثقافي، ونسأل الله ألّا نضطر إلى تخطي هذه الوسائل. مَن في الدنيا،

مَن في العالم لم تُوجَّه إليه التهم؟ النبي الكريم، سيد الخلق وصاحب الرسالة، كانت تُوجَّه إليه تهمة السحر والجنون والشعوذة وتهم كثيرة أخرى وجهت إليه. ونحن مهما عملنا لا نكون أحسن منه، المهم أن نتمكن من الدفاع. ولا شك في أن هذه الجلسة وأمثال ذلك من اللقاءات المفتوحة، إذا كانت مؤيدة ومقنعة ومخلصة من جميع الأطراف أفضل وسيلة لتوضيح الحقائق والدفاع عن الهجمات الموجهة.

س: بعد إثارة قضية الجنوب في المدة الأخيرة قررت الحكومة صرف 30 مليون ليرة مخصصة للجنوب وحتى الآن لم نسمع أنه قد صُرِفَ أيّ مبلغ بهذا الصدد، فما هو تصرفكم وتحرككم بالتالي؟

ج: هذا السؤال يزداد إلحاحًا عندما نعرف أن تأسيس مجلس الجنوب وتخصيص 30 مليون ليرة، جاءا بعد الإضراب الذي دعوت أنا إليه. الحقيقة أن مجلس الجنوب أُسِّسَ، ولا أريد أن أتحمل مسؤولية ما عمل مجلس الجنوب، ولكن بحدود معلوماتي الضعيفة أو القوية عن مجلس الجنوب أنه وُجد المجلس و30 مليون ليرة في حالة لا تحتمل التأخير مع أن العمل بحاجة إلى دراسة والدراسة تأخذ وقتًا. مجلس الجنوب وُجِدَ، ووجد أن ليس أمامه أيّ دراسة كاملة عن الجنوب. ثم الإهمال المزمن الذي تجسد في الحرمان أورد لكم مثالًا عنها: سنة 1966 صدر قانون ينص على أن أيّ قرية تقدم أرضًا لوزارة التربية، تبني هذه عليها مدرسة. وخُصِصَت مبالغ لهذا الموضوع. خلال خمس سنوات، كان من المنتظر أن يُخصص للجنوب 86 مدرسة، آخر 1970 يجب أن تنتهي. في هذه الفترة ما بني إلّا نصف مدرسة بالقليعة. هذا النوع من الإهمال العجيب الذي يميت القلب كان سائدًا ولا يزال في الجنوب. تجاه الإهمال المزمن، والفترة العصيبة، وسرعة التحرك، حسب المعلومات مجلس الجنوب بدأ يتحرك من خلال المشاريع الجاهزة. سبع مدارس كانت خرائطها ودراستها جاهزة وما كان لها موازنة في الوزارة، بدأ المجلس ببناء هذه المدارس. صيانة الطرق بالجنوب لم يكن لها موازنة. قسم من الكهرباء والماء في بعض المناطق لم يكن لها موازنة وأمثال ذلك. ثم التعويضات بالنسبة إلى القتلى والجرحى وبعض المساعدات بالنسبة إلى المتضررين وأمثال ذلك· هم وزعوا كراسًا يبين أعمال مجلس الجنوب في خمسة أشهر. موجود بإمكانكم أن تطلعوا على هذا الكراس. بقي في هذا المجلس 23 مليون ليرة وكان يخشى بأنه بانتهاء سنة 1970 يذهب هذا المال لأنه مخصص بموجب القانون في موازنة السبعين. فمجلس الوزراء أول البارحة مدد مدة صرفه يعني لا يخشى من استعادته من قبل الدولة. من المفروض أنه يصير الإصرار والمراقبة والاستمرار في الطلب حتى تنفق هذه المبالغ كلّها في مشاريع ملحّة في الجنوب.

س: حلّل ماركس الظواهر الاجتماعية، وحلّل كذلك الفيلسوف أرنولد توينبي الظاهرة الاجتماعية تحت عنوان الاستجابة والتحدي وهي تناقض الماركسية، فهل لك أن تحدثنا عن فلسفة توينبي؟

ج: حاضر، أنا أتصور هذا بحث جميل حول دراسة اجتماعية. طبعًا ماركس في الأساس عالم اقتصادي، وهو تدخل في الشؤون الاجتماعية وبالتالي في التاريخ وفي الفلسفة أيضًا كعالم اقتصادي، أتصور هذه مسائل مفصلة وبحاجة إلى حلقات أوسع ووقت أكثر. أنا أعد صاحب السؤال أنه بأيّ مناسبة من المناسبات سنصل إلى هذا البحث وأطرح نظرية ماركس وتوينبي في هذا الموضوع وبصورة خاصة بالنسبة إلى العمل الذي هو موضوع دراستنا في الحلقة القادمة كما تعرفون أنه بحث اقتصادي واسع عن قيمة العمل، لأنه ماركس له نظرية خاصة بالنسبة إلى العمل. يقول قيمة العمل هي كلّ قيمة البضاعة، وقيمة البضاعة هي مساوية لمقدار العمل المتجسد في البضاعة ثم انطلاقًا من هذه النظرية يأتي ماركس على نظرية فضل القيمة وهذه النقطة الأساسية للاشتراكية العلمية يعني للشيوعية. فهذا البحث آتٍ عندنا مباشرة ورأينا نحن في نظرية القيمة ثم في نظرية فضل القيمة ونتحدث فيه إن شاء الله في المستقبل وأيّ مناسبة تأتي سوف أحكي في هذا الشيء.

س: معلوم عن الطائفة الشيعية أنّها هي الفئة المعارضة لكلّ حكم منحرف أو ظالم فلماذا ترضى أن يكون المجلس تحت سيطرة دولة أقلّ ما يقال فيها أنّها جائرة وقد يكون هذا هدرًا لدماء الشهداء الكثيرة في التاريخ من عهد عليّ (عليه السلام) إلى الآن؟

ج: الحقيقة أنا أتصور أن هذا خطأ في فهم وضع المجلس. من يقول إن المجلس تحت سيطرة الدولة هذا تجنٍ على المجلس. فالمجلس ليس تحت سيطرة الدولة إطلاقًا، ولست أنا موظفًا وليس هذا المجلس ملكًا للدولة إطلاقًا. ليس هناك أيّ خضوع. وإنما كما قلت تنظيم عائلي للطائفة الشيعية كتنظيم الطوائف الأخرى. قد تنسجم مصالح الطائفة مع مصالح الدولة، فيؤيد المجلس وقد تختلف فيعارض، وهذا شأن جميع التحركات.

ثانيًا، لم يكن عندنا أيّ بديل عن ذلك كما قلت أنا في أول لقاء وجود هذا المجلس على الأقلّ يصون كرامة الفرد الشيعي حتى يتمكن أن يتحرك. فإذًا، هناك تحركات على غرار تحركات الأئمة، المفروض أن نصون هذه التحركات ولا نسمح للضربات الظالمة أن تتجنى عليها. أنا بالعكس أتصور أن هذا المجلس ثمرة من ثمار الدماء الزكية، التي أُريقت لخدمة الإسلام، لأنه إذا

عرفنا أنه على الأقلّ، نحن عندنا 45 معلمًا في مئات من المدارس، يُبلِّغون تعاليم أهل البيت الدينية؟ أو إذا عرفنا أن عشرة أيام على الأقلّ في هذه السنة تمكّنا من ممارسة الشعائر الدينية في الإذاعة اللبنانية، أو إذا عرفنا أن هناك حماية لحقوق جماعة من الناس ورعاية لأوضاعهم الدينية، أو إذا عرفنا أنه من الممكن أن هذا المجلس يقوم بحماية المظلومين داخل لبنان أو خارج لبنان، كما وقف يحمي المرجع في ساعة المحنة، نعرف أن هذا خطوة ولو صغيرة لأجل إثمار الدماء الزكية التي أُريقت.

لا نقول إن هذا المجلس دفعة واحدة عمل كلّ شيء، ولكنه وضع إطارًا مناسبًا لعمل كبير وأعمال كثيرة. إذا توفق المجلس في تكوين الجامعة التي نفكر فيها وفي هذه الجامعة تُقدَّم التعاليم بالشكل الصحيح وأمثال ذلك، هذه خدمة كبيرة. أرجع أكرر لصاحب هذا السؤال العزيز أنه بإمكانك أن تتأكد على الرغم من التشويش، وعلى الرغم مما كتب في الجريدة خلال هذه الأيام الأخيرة من التجني، ليس هناك إطلاقًا أيّ علاقة بين المجلس وبين الدولة، وهو ليس جهازًا خاضعًا للدولة. وبإمكاني على سبيل المقارنة - لأن هذه الأيام المقارنة ضرورية- أن أقول مثلًا إن المحاكم الشرعية سواء كانت الجعفرية أو غير الجعفرية تخضع مباشرة لرئيس الوزراء ولوزير العدل، ولكن المجلس لا يخضع لأيّ شيء من هذه الأشياء إطلاقًا. بإمكانكم أن تتأكدوا من ذلك، وإن شاء الله الاطلاع والتعرف أكثر على واقع المجلس يؤكد هذا. هذا كلّ ما لدي من الأسئلة.

غفر الله لنا ولكم، والسلام عليكم.

كيف تأخّر المجتمع الإسلامي؟[6]

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان الطلاب طالبونا أكثر من مرة ومن أكثر من فئة، أن يتحول الوقت من يوم الثلاثاء مساءً إلى يوم السبت مساءً، بسبب التهاء شباب الجامعة بدروسهم الليلية، فأنا ما عندي مانع. وكثير من الطلاب طلبوا هذا الشيء، فأرجو من الإخوان الآخرين أن يوافقوا على هذا الاقتراح.

وهذه الحلقة إن شاء الله تتكرر مساء السبت القادم حتى لا يكون [هناك] تعطيل أبدًا، ومن السبت القادم بإذن الله نستمرّ في حلقاتنا كلّ مساء سبت.

أما حديثنا هذه الليلة، ففي الجواب عن السؤال الذي وُجّه، والذي طال انتظارنا حول سبب تخلف المسلمين، وقد مرّ خلال بعض الأحاديث السابقة الصورة الموجزة والخطّ العريض للجواب، الليلة نريد أن نربط بين هذا الخطّ العريض وبين الروافد والنتائج التي حصلت من هذا الخطّ، وأدّت إلى وضعنا الحاضر.

أُعيد إلى ذاكرتكم أني قلت إن الإسلام هدفه تربية الإنسان، ولأجل تربية الإنسان قدَم تعاليمًا موجهة إلى الفرد، ثم لكي يصون الفرد حاول أن يكوّن للفرد مجتمعًا، يتمكن الفرد في هذا المجتمع من صيانة نفسه، ويتمكن أيضًا الفرد من النمو في هذا المجتمع، هذا الذي يسمّى في الفترة الأخيرة بتكافؤ الفرص.

الفرد قد يكون له كفاءات، ولكن لا يجد أمامه فرصًا لتنمية هذه الكفاءات، كما هو الآن في بلدنا وفي أكثر المجتمعات. فالطاقات الموجودة عند الأفراد سوف لن تبرز، بينما إذا وُجد مجتمع صالح، طاقات كلّ فرد تبرز وتنمو، وبالتالي المجتمع يستفيد من مجموعة طاقات أفراده، أو بتعبير

أدقّ كلّ إنسان يستفيد من طاقاته وكفاءاته التي تنمو، ويستفيد من طاقات وكفاءات الآخرين التي تنمو أيضًا نتيجة لوجود المجتمع.

فإذًا، الإسلام اهتمّ بتكوين المجتمع وبخلق مجتمع إسلامي، يصون الفرد أيّ يمنعه من الانحراف، يصونه في خطّه السليم أولًا، ويهيىء له حقلًا خصبًا لنمو كفاءاته، وقلنا أن هذا شيء بارز في سورة العصر: {والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} [العصر، 1-3] هذان الشرطان لا يكفيان، هناك شرط ثالث أو والرابع: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} [العصر، 3] يعني مع الإيمان والعمل الصالح التعاليم الفردية، نريد التواصي، التواصي عمل جماعي، يعني نريد بيئة. هذه البيئة تحافظ على الحقّ وتحافظ على الصبر، أنت توصيني وأنا أوصيك، يعني العمل الجماعي.

لا بدّ للإنسان الصالح إذا يريد أن يبقى صالحًا أن يكوّن حوله البيئة، إنسان القرية... قرية صالحة، إنسان المدينة... مدينة صالحة، إنسان العشيرة... عشيرة صالحة، إنسان الوطن... وطن صالح، إنسان هيئة الأمم... أمم صالحة، حسب نمو الإنسان ونمو مجتمعات الإنسان. الإسلام دين الخلود، يعني يبحث كيفية صيانة الفرد في المجتمع الفدرالي، في المجتمع الرأسمالي، في المجتمع العالمي، في أيّ مجتمع... المهم تكوين بيئة صالحة حول الإنسان.

هذا الحديث مرّ وأعيد إلى ذاكرتكم، وقلنا لأجل إيجاد هذا المجتمع، أُعطي النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) سلطة غير سلطة الرسالة - أرجو الانتباه- أُعطيَ النبي محمد غير الرسالة، كان عليه أن يبلّغ أحكام الله إلى الناس، هذه الرسالة هذه النبوّة، أُعطيَ سلطة أخرى، تلك التي نسميها بالولاية، والتي تشير إليها الآية الكريمة: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب، 6] ماذا يعني: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[الأحزاب، 6]؟ يعني أنا إذا أردت شيئًا والنبي أراد شيئًا آخر، عليّ أن أُنفّذ ما يريده النبي لا ما أريده أنا. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب، 6]: يعني أوامر النبي يجب أن تُنفَّذ. هذا نسميه سلطة الولاية أو سلطة الحكم، هذا المفهوم من الآية الكريمة: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} [النساء، 59] نقف عند هذه الكلمة، لو كانت إطاعة الرسول، إطاعته في الأحكام الإلهية، يعني في الأحكام والتعاليم الإسلامية هذه إطاعة الله، ما كان يجب يقول: "وأطيعوا الرسول"، النبي يقول لك صلِّ، إذا صليتم فقد أطعتم الله، لم تطعوا الرسول؛ فالرسول بوصفه رسولًا يأمرني بالأحكام الإلهية، فإذا نفّذت فقد أطعت الله، فما معنى إطاعة

الرسول؟ إطاعة الرسول يعني ما يقوله الرسول لأجل إقامة المجتمع، لأجل تطبيق شريعة الله على الأرض، غير ما قاله الله. هناك أشياء الله يقولها: الإسلام، الرسالة، الأحكام الإلهية، الشريعة. هناك أشياء محمد يقولها، محمد الحاكم، محمد الولي ليس محمد النبي؛ محمد النبي يبلِّغ: صلاة واجبة، حج واجب، كذا، كذا، اعملْ... هذه المسائل. هنا إطاعة محمد إطاعة الله؛ لكن القرآن يقول: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} [النساء، 59]، هناك شيء ثانٍ غير إطاعة الله، يعني إطاعته كوليّ، كحاكم.

في المدينة استلم رسول الله الحكم، ومارس سلطة الولاية، فبدأ ينفِّذ تعاليم الله على الأرض، وبدأ يكوّن للإنسان المسلم مجتمعًا إسلاميًا يصونه وينمي كفاءاته، ولكن العمر قصير... عشر سنوات وأربعة أشهر، وتكوين المجتمع الإسلامي أو أيّ مجتمع جديد يختلف عن المجتمع السابق، يختلف اختلافًا كليًّا كما نحن نعلم بحاجة إلى وقت أكثر. جاءه الأجل قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ الولاية أليست سلطة ثابتة لي؟ قالوا: بلى. غير الرسالة، الرسالة انتهت أدّى كلّ ما عليه، الولاية بقيت، ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.

فإذًا، لأجل بناء المجتمع، سُلِّم الأمر لعليّ، لماذا؟ بحث طويل، لأنه ما سجد لصنم قطّ، لأنه كان نفس النبي، لأنه كان تربية النبي، لأنه بمصطلحنا المعاصر كان ابن الثورة، سمِّه ما شئت. وضع الإسلام تخطيطًا لأجل بناء المجتمع الإسلامي وعبّر عن ذلك الرسول الأكرم بكلمته المعروفة: لو وليتم هذا... لأخذكم إلى المحجة البيضاء، المدينة الفاضلة، أعطوني قلمًا أكتب لكم ما إذا اتبعتم لن تضلوا من بعدي أبدًا. إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وأمثال ذلك من الأدلة التي نتحدث فيها، لا أريد أن أتكلم علم الكلام، يعني لا أريد أن أحكي عن التشيع، لأنه أنا أعتقد أن الولاية أوسع مفهومًا من شخص عليّ بن أبي طالب. عليّ بن أبي طالب هو النموذج الكامل للولاية، والولاية ما انتهت بذهاب عليّ، ولا وُجِدت بوجود عليّ، الولاية يعني الحكم الصالح، الحكم الإسلامي الصالح الذي يأتي: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر} [النساء، 59]، يأتي مقابل الإطاعتين.

فإذًا، الإسلام وضع مخططًا لتكوين مجتمع إسلامي عن طريق إيجاد حكم صالح، ماذا جرى؟ طبعًا ما نُفّذت وصية النبي، وبقيَ بعد النبي (عليه الصلاة والسلام)، الأمر والزمن منقسمًا إلى قسمين: القسم الأول أيام الخلفاء الراشدين، القسم الثاني بعد الخلفاء الراشدين. أرجو الانتباه، في

أيام الخلافة الراشدة شكل الحكم كان محفوظًا، ولكن وُجد فيه أربعة انحرافات، ثم هذه الانحرافات أدّت إلى الانحراف الأساسي بعد انتهاء خلافة الخليفة عثمان وانتقال الأمر إلى معاوية.

ما هي الانحرافات؟

نحن نعلم أن المجتمع الإسلامي، في أيام رسول الله بدأ يتوسع، النبي الكريم ترك أمته وهو مسيطر على الجزيرة كلّها تقريبًا، القبائل، مكة والمدينة، نجد، دمشق واليمن، في حجة الوداع وصل الإسلام إلى اليمن يعني كلّ الجزيرة كانت مسلمة، ونحن نعرف أنه تركهم في اليرموك، يعني الجيوش الإسلامية كانت تتجه نحو الشرق الأوسط وقبيل أراضينا، طبعًا هذا اتساع في العالم الإسلامي، ثم استمرّ الاتساع، هذا الاتساع المستمرّ أحدث تغييرات في المجتمع الإسلامي، في طليعة هذه التغييرات هي كثرة المال. المجتمع الإسلامي بدأ فقيرًا حتى إن النبي كان يشدُّ على بطنه الحجارة من الجوع، هو هو أميرهم ووليّهم كان جوعان، المجتمع كان مجتمعًا فقيرًا، كان [هناك] مجموعة من المسلمين المعروفين بأصحاب الصُفَّة، كانوا يسكنون بالمسجد ما عندهم شيء يأكلونه ولا شغلة يشتغلونها، لكن بالتدريج بدأت التعاليم الإسلامية تؤثر في المجتمع، وبدأ النمو الاقتصادي إلى جنب النمو الاجتماعي وتحسن حال المسلمين، وتحسن أكثر حتى كثُرت الأموال.

أذكر لكم واقعة واحدة ثم ننتقل لقضية الانحراف، في أيام الخليفة عمر بن الخطاب دخل عليه حاكم من حكامه، حاكم البحرين، دخل عليه بعد صلاة العشاء الآخرة، وطبعًا المسلمين كانوا ينامون بعد العشاء، يعني في أوائل الليل، حضر عند الخليفة عمر بن الخطاب فسأله: ماذا عندك من الزكاة قال: خمسة وعشرون مليون دينار، هذا من بلد واحد. الخليفة اتهمه بالضياع قال: أنت واصل من السفر وتعبان، وتحكي سخفًا يعني تهجر، اذهبْ وآتني غدًا. صباحًا حضر عند الخليفة سأله: ماذا عندك من الزكوات قال: خمسة وعشرون مليون دينار قال: والله ما كنت أظنّ أن في العالم هذا القدر من المال. مجتمع بدائي... تفتَّح عينه مرة... رأى ملايين من الأموال مكدسة في بيت المال. المال كَثُر، ماذا حصل تجاه هذه الأموال؟ حصلت ثلاثة أنواع من التصرفات من ثلاثة من الخلفاء الراشدين، أحدهم بدأ يوزع المال بالتساوي، يعني هذه المليارات من الأموال التي كانت تأتي للمجتمع الإسلامي الصغير، بعد نفقات الجيوش والمؤذنين وهذه المسائل، كان يوزعه بالتساوي، هذا واحد. أحدهم بدأ يوزع الأموال بالتفاوت قدّم لزوجات النبي، أرحام النبي، المهاجرين، المشاركين في بدر، الأنصار، البقية. وأحدهم بدأ يوزع هذا على أرحامه، ثلاثة أشكال.

الأول أن يوزع الأموال بالتساوي، ماذا عوّد المجتمع الإسلامي؟ عوّد الإنسان المسلم على استلام المال دون تعب، العبّاس عم النبي كان يستلم سنويًا مليون درهم، يعني ما يقرب من أربعمئة ألف ليرة لبنانية بالسنة (ببلاش)، هذا المال دون تعب، ماذا كان يعمل مع الإنسان المسلم؟ أولًا يعوّده على الكسل، باعتبار أنه ليس هناك شغل، مع العلم أن الشغل في الإسلام واجب وليس سببًا للرزق، (معي الإخوان)، الشغل في الإسلام ليس حتى آكل، حتى ولو أنا تأمنت وبإمكاني أن أعيش مبسوطًا يجب عليَّ أن أشتغل، الشغل واجب اجتماعي للإنسان المسلم، حتى نقلت لكم الحديث المعروف: ولو أن عبدًا مؤمنًا جاء أجله أو قامت قيامته وبيده غرسة لغرسها قبل أن يموت. يريد الإسلام أن يبقى الإنسان في جهد دائم، في جهاد دائم، في كدح دائم، أكثر من موضع القرآن الكريم يؤكد إنّا: {خلقنا الإنسان في كبد} [البلد، 4]، أو {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} [النجم، 39]، أو {كدحًا فملاقيه} [الانشقاق، 6]، {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه} [الانشقاق، 6]، المطلوب من الإنسان المسلم التحرك الدائم، السعي الدائم، الإنتاج الدائم، الإنسان بعد الرسول وجد أمامه أموالًا، فاكتفى بهذه الأموال وبدأ يترك السعي.

أولًا، تعطيل للطاقات؛ ثانيًا، المال الكثير وضع له الرغبة في التسلية والبذخ، يريد أن يقتل فراغه، عنده المال وما عنده شغل، يريد أن يصرف الوقت، فبدأ يشتري الجواري، فبدأ يتلذذ بالمُلهيات والمُسليات، صحيح: {من حرم زينة الله التي أخرج لعباده} [الأعراف، 32]. كلّ إنسان له حقّ أن يتسلى، ولكن التسلية للترفيه ليست جزءًا من كيان الحياة، يجب أن تشتغل، تتعب. يومًا وترتاح، لكن أنك طوال الأسبوع ترتاح هذا ليس واردًا. وهذا أدّى إلى فساد داخل المجتمع، التواريخ تنقل وبإمكاننا أن نستخرج من كتب تاريخية كثيرة وفي مقدمتها "الأغاني"، [يورد] كتاب "الأغاني" أن مركز الفساد كان مكة المكرمة، يعني الجواري والأغاني واللهو والخمور والمجون بشكل فظيع انتشرت في العالم، العالم الإسلامي لأن المال بكثرة ولا يوجد شغل.

فإذًا، أول انحراف إعطاء المال دون تعب، هذا أدّى إلى تجميد الطاقات الفردية، ثانيًا إلى الانحراف يعني إلى إفساد المجتمع. الخليفة أحدهم هذا كان تصرفه. شخص ثانٍ منهم بدأ يوزع الأموال حسب تصنيفات كيفية، فأول ناس بالزكوات نساء النبي، ثم أرحام النبي، ثم البدريون، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الموالي وهكذا. فكوَّن داخل المجتمع الإسلامي طبقية، طبقية بالمال ونتيجة للأمجاد، صحيح أن الأمجاد كانت أمجادًا إسلامية، ولكن أنت اشتركت في الحرب وعلى طول عمرك يأتيك أموالًا أكثر لأنك اشتركت في الحرب، دون أن تستمرّ في المشاركة في الحرب

وفي الجهد، كوّن هناك اختلافًا طبقيًا. وهذا الاختلاف الطبقي أولًا شكّل نوعًا من التناقض داخل المجتمع الإسلامي، ثانيًا شكّل كثيرًا من الشكليات والطقوس والاعتماد على الفوارغ، الأشياء الفارغة، كيف يعني؟ عندما أنا يدخل عليّ أربعمئة ألف ليرة في السنة كالعباس بن عبد المطلب وجاري يدخل عليه خمسين ألف، بطبيعة الحال أنا يلزمني خدمًا أكثر منه، خيلًا أكثر منه، بيتًا أوسع منه، ملابس أطول من ملابسه وهكذا.

أصبح نتيجة للتفاوت الطبقي نوعًا من المظاهر والشؤون، هذا الذي سمَوه فيما بعد الشؤون، شؤون الإنسان، هذا الشأن كذا وهذا الشأن كذا، مع أنه في الأساس المسلم كفؤ المسلم كان، الناس سواسية كأسنان المشط كان. بنت أغنى صحابي، النبي الكريم زوّجها من جويبر، أفقر صحابي ومن أهل الصُّفَة أيضًا.

هذا التصنيف لم يكن والتكريس الطبقي فرَّق بين الناس، الناس مثل بعض كنّا، هذا الذي حدث شؤون، أنا شؤوني ليس أن أتزوج هذه البنت، أو هذه البنت شؤونها ليست أن تتزوج هذا الرجل، هذا جاء فيما بعد. أنا شأني ألّا أجلس معك وأنت شأنك أن تجلس مع من هو فوقي، جاء فيما بعد. قضية الشؤون أريد أن أربطها بقضية فقد الكلمة، انظروا كيف يتسلل الفساد، طبعًا هذه المسائل ليست مسائل مكتوبة، من الممكن أن تفكروا، يعني خطّ التفكير أنا كذلك أطالع أنه كيف من الممكن أن تحريف المجتمع يؤدي إلى هذه المسائل [...]

فإذًا، التوزيع دون تعب أدّى إلى مشكلتين، التجميد للطاقات، والبذخ فساد يعني، والتصنيف أولًا كوّن تناقضًا داخل المجتمع، يعني الخلاف، الأحقاد. ثانيًا شكَّل الطبقية، نتيجة الطبقية الاهتمام بالشؤون، لا كفاءات وتساوٍ، هناك شؤون، هناك أشياء كلام فارغ يعني، أنا مهم جدًا لبسي أهم، خدمي أكثر، بيتي أوسع، حماري أكبر، فرسي سرجه ألين، هذا هو.

الاعتماد على المسائل الفارغة بشكل عميق أثّر في واقع المجتمع الإسلامي الذي كان مجتمع الأخوة: {إنما المؤمنون إخوة} [الحجرات، 10] مجتمع التحرك الدائم، مجتمع الجسد الواحد مثل المؤمنين في توادّهم كجسد واحد، ومجتمع السلامة ليس الانحراف.

هذا الموقف الثاني لتوزيع الأموال، أحد الخلفاء أيضًا رتَّب العملية بشكل ثالث وهو تخصيص أرحامه في الحكم، فبدأ يخصص لأقربائه ولجماعته الأموال، مثلًا جميع ضرائب أفريقيا

الشمالية التي كانت تشمل مصر وليبيا وقسم من تونس في هذا الوقت، الخليفة عثمان وهبها لصهره مروان لأنه من بني أمية، لأنه صهره، وهكذا حسب تعبير الإمام في الخطبة المعروفة أصبح العرق، هذا غير التصنيف الطبقي الذي ابتلينا فيه، العرقية العنصرية عادت إلى البروز، العشائرية كانت عند العرب ليس فقط القبائل كانوا عشائر، كلّ شخص كان يعتزّ بنسبه قبل الإسلام، حتى الفرس، الفرس العربي كان له نسب، الأصنام العربية كان لها أنساب، سورة {قل هو الله أحد} [الإخلاص، 1] في الأحاديث أنها نسب ربنا، لأنه كانوا يسألون محمدًا (عليه الصلاة والسلام) بأنه هذا هُبَل معروف، هذا جاء به فلان من الشام، كذا... هذا جاء به فلان من فلان من فلان، الأنساب أنت الربّ خاصتك ما نسبه؟ كرّروا السؤال جاء الجواب: {قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد} [الإخلاص، 1-3] ليس له أب الرب خاصتي، ليس منسوبًا لأحد، ليس له أب ولا له أم.

القبلية، النظام القبلي كان مشكلة العرب قبل الإسلام، موقف الخليفة الثالث في توزيع الأموال إلى الأرحام أعاد إلى الظهور مشكلة القبائل، ومشكلة العشائر، فأصبحت قريش، أول شيء، أصبح العربي يشعر بأنه مالك الأرض، وبينهم قبيلة قريش يشعرون بأنهم أولياء وأصحاب الحق، وأصبح بنو هاشم وبنو أمية الفخذان الرئيسيان في قريش يعتبرون حالهم هم أصحاب الحق.

حاكم الكوفة الرجل أظن اسمه سعد إن شاء الله في الأسبوع القادم سأسجل اسمه، في جلسة من الجلسات قال هذه الكلمة: "إنما السواد فطيرة قريش"، السواد يعني عراق السواد يعني العراق، كما تعرفون العراق كانت عامرة، ظلال الأشجار من بغداد إلى الموصل ما كانت تنقطع، العراق عراق السواد، يعني كلّ ما كان أسود من الأشياء. يقول حاكم الكوفة في أيام الخليفة عثمان: "إنما السواد فطيرة قريش" سواد أراضي العراق كلّها فطورنا، يعني هذا الترويقة لنا، يعني بطن قريش يستحق أكل العالم كلّه والعراق فطوره. طيب. هنا وقف مالك الأشتر وقال له: مَهْ يا هذا، إنما العراق حصيلة سيوف المجاهدين من المهاجرين والأنصار. زعل، وضربه مالك، كتب لعثمان، سفّروا مالك الأشتر وأبعدوا عمار بن ياسر وهذه الجماعة التي سُفِّرَت إلى الشام وقُتِلَت في الشام، هذا كان وغير ذلك... هؤلاء الذين سُفِّروا من الكوفة نتيجة لموقفهم أمام هذه الكلمة. فإذًا، أُعيدت إلى المجتمع الإسلامي القبلية، وهذا هدد وحدة المجتمع الإسلامي.

هذه الأمور الثلاثة ونتائجها مهَّدت الجو بعد انتهاء الخلافة الراشدة، مهَّدت الجو لتغيير النظام الإسلامي من أعماقه حينما بلغ الأمر معاوية، صريحًا حوّل الشكل أيضًا يعني الخلافة

تحولت إلى المُلك، ذلك الذي يسميه النبي بالملك العضوض، بيت المال ليس حقًّا للمسلمين في أيام معاوية وإنما هو ملك للسلطان يُصرف في مصالح السلطان. الجنود والمحاربون والمرابطون ليسوا مجاهدين في سبيل الله، مجاهد في سبيل الله بل مرتزقة، هناك جماعة حِرفتهم الجندية مع أنه بالإسلام ما في حِرفة الجندية، كلّ فرد هو جندي. طبعًا كلّ وقت تعقيدات الصناعة العسكرية بحاجة إلى التدريب. اليوم هذا شيء ثانٍ، لكن بالأساس لا يوجد جنود مرتزقة. القرب والبعد عن الخليفة تحوّل مفهومه، وتغيير النظام يعني تغيير الخلافة إلى الحكم كوّن عند العرب قيصرية جديدة، على طريقة قيصرية كسرى وقيصر. ومن آثار هذا الأشياء، أشياء كثيرة وكثيرة، الآن سنستعرضها مع بعض، من جملتها تحريف الأحكام الإسلامية.

يرغب الخليفة إلى شيء هناك وعّاظ السلاطين حسب تعبير ابن الوردي، جماعة من أصحاب النبي يختلقون، لمجرد رغبة الخليفة، أحاديث في ذمّ هذا وفي مدح ذاك. يتحدثون عن الإمام الحسن لأنه خصم الخليفة، فيشوِّهون الإمام الحسن في التاريخ كما لم يُشوَّه أحد، رجل يحبّ السلام، يحبّ الراحة، يكثر الزواج، يكثر الطلاق، هذه المسائل المعروفة عن الإمام الحسن المزورة كلّها نتيجة لتزوير الأحاديث. رغبة الخليفة هي رغبة الله، لا شيء يربط الخليفة، لا تعاليم ثابتة يجب على الخليفة مراعاتها والتحرك ضمنها، رغبة الخليفة تُبيح كلّ شيء؛ من جملة ذلك قضية زوجة عبد الله بن سلام المعروفة.

بالفعل يزيد سمع بجمال زوجة عبد الله بن سلام، فرغب بذلك ومعاوية نفَّذ له ذلك، بعث أحد الصحابة أيضًا أبا الدرداء إلى الكوفة، وعده لعبد الله بن سلام بالولاية، ولاية مقاطعة وبالزواج من بنت الخليفة، فارتاح الرجل، قال له ولكن الخليفة لن يزوجك ابنته إذا كنت أنت متزوجًا، فطلق زوجته فخطبها ليزيد. يعني إباحة... طبعًا الإمام الحسين أنقذ الموقف كما نحن نعرف. ولكن هذا كان الأسلوب، فلان يُقتل لأنه لا يحبّ الخليفة، فلان يُكرّم وإن كان غير ملتزم، أصبح الإله يعني قدس الأقداس هو الخليفة، يعني إله جديد وُجد في المجتمع وهكذا انتهت العملية. أريد أن أذكر لكم مصطلحًا... أشخاص يفكرون أنه إذا قلنا فلان إله يعني نسجد له، في جوابهم نقرأ هذه الآية: {أرأيت من اتخذ إلهه هواه} [الفرقان، 43] شو يعني: {اتخذ إلهه هواه} [الفرقان، 43] هل من أحد يسجد أمام هواه، لا يسجد الإنسان أمام هواه: {اتخذ إلهه هواه} [الفرقان، 43] يعني قدس الأقداس عنده هواه يعني أنانيته، قدس الأقداس، يعني أعمل شغلة فلانية لهذا السبب حين تفتش عن عمق جميع تحركاتي أنانيتي. هذا: {اتخذ إلهه هواه} [الفرقان، 43]. في المجتمع الملكي الذي كوّنه معاوية

وتكوّن فيما بعد قدس الأقداس هو الخليفة، الحَسن ما يرتضيه الخليفة والقبيح ما لا يرتضيه، التقي المقرب إليه والشقي البعيد عنه وهكذا. قدس الأقداس يعني تكوّن إله أرضي... ذلك الذي كان يريد الإسلام أن يحارب الناس من أجله؟ الإسلام يريد أن يقضي على الآلهة الأرضية: لا ملك، ولا سلطان، ولا شيخ، لا رئيس قبيلة، لا مال. لا آلهة أرضية، هناك إله واحد بغير مكان لا يُرى.

فإذًا، تحويل المجتمع عن المجتمع المخطط للمجتمع غير المخطط في خلال فترة الخلافة الراشدة، ابتلت الخلافة الإسلامية الشكلية بانحرافات في طليعتها أسلوب توزيع المال، ثم تمهدت... مهدت هذه الانحرافات الثلاثة لتحويل النظام من الخلافة إلى المُلك وانتهى الأمر. هنا نتمكن بهذا الإطار الواسع أن نجد أسباب الانحرافات الرئيسية التي برزت فيما بعد، مع العلم أن قوة الاستمرار بعث المسلمين فترة من الزمن إلى تحركات معينة ومع العلم أن أيّ مجتمع متحضّر، أيّ مجتمع امبراطوري أو استعماري له إنتاجات مالية بالزيادة أو بالنقيصة، ولكن هذه المنتجات لا تستمر سوف تسقط. كما ذكرت لكم مثال دولاب السيارة الذي يفلت من السيارة ربما 500 متر أو أكثر يفتل ولكن بأقلّ حادث، بأقلّ انحراف، بأقلّ مانع يسقط على الأرض.

هذا الإطار بالصورة الموجزة بكلّ سهولة نتمكن أن نعرف لماذا ترك المسلمون العمل والتعب والسعي، سواء كان المادي منه أو المعنوي، يعني البناء والتفكير؟ بكلّ سهولة نتمكن أن نعرف لماذا المجتمع الإسلامي دخل فيه الفساد؟ والفساد جعل المجتمع خاويًا، نتمكن أن نقول لماذا الصورة التي أُعطيت من المجتمع كجسد واحد ليس فيه طبقية، ولا صراع وإنما فيه التنافس والسباق وتحسس وتعاون، لماذا تحوّل إلى مجتمع متناقض من الداخل؟ نتمكن أن نقول لماذا وُجدت الشؤون؟ الكلمات الفارغة، والتشريفات الفارغة والحُجُب الفارغة، والبذخ نتيجة لهذا التقسيم الطبقي، ونتمكن أن نقول لماذا عادت العنصرية إلى المجتمع الإسلامي للظهور من جديد؟ نتمكن أن نقول لماذا عادت الامبراطورية التي كانت أساس البلاء إلى المجتمع؟ نتمكن أن نقول لماذا المرأة خرجت من حقل العمل، لأن الرجل الغني الذي هنا ما كان يشتغل ما كان يرى أيّ سبب أن امرأته تشتغل، وامرأته يجب أن تبقى في إطار كبير من الشخصية الجمالية. الحجاب بالمفهوم القديم يعني التستر المطلق وُجد نتيجة للتزين وليس للمحافظة؛ نساء الملوك حجابهن كان سابقًا بالشكل الذي إذا مررن بالشارع أمامهن زبانية يفرضوا على الناس أن يديروا وجوههم نحو الحائط حتى لا ينظروا إلى حجم المرأة، امرأة السلطان. هذا النوع من الحجاب يعني إبعاد المرأة بجميع شؤونها حتى حجم

الجسم عندها بهذا الشكل، هذا بذخ من الحياة، ترف وليس من الإسلام، وما كانت نساء الأولياء ولا نساء النبي ولا فاطمة الزهراء يَعِشْنَ بهذا الشكل، أبدًا.

المرأة أصبحت زينة، لأن الرجل عنده مال، وامرأته يجب أن تبقى... لا تضع يدها لا بالأبيض ولا بالأسود، ولا تتحرك ولا تطلع، أُخرجت نتيجة للتزيّن من الحياة العملية، فلما هو خرج، امرأته خرجت أيضًا. ونتمكن أن نقول إن عدم الاشتغال، وعدم التحرك، وعدم السعي كوّن أساسًا ضعيفًا للتحرك الفكري، وبالتالي، سقط الفكر الإسلامي ونمو الفكر في الإسلام، وبالنتيجة تمهّد الجو للفراغ، يعني تحوّل أبناء المجتمع الإسلامي إلى أبناء مدللين، وهذا مما يساعد على استعمارهم لأنه يضعفون، لا يفكرون، لا يتعمّقون، وأبرز مثال لهذا الصراع وقائع الأندلس، حتمًا الإخوان المعنيين بشؤون الإسلام يدرسون بدقة حوادث الأندلس كيف وُجد الحكم الإسلامي هناك وكيف تحوّل إلى الإمبراطورية، وكيف كان البذخ، وكيف بُنيت قصور الحمراء والزهراء ومسجد قرطبة وغير ذلك، وكيف كانوا يلبسون، وكيف عاشوا بالبذخ، وكيف انهاروا أمام جيوش فرنسا والإسبان.

هذه الصورة موجزة عن ربط المصدر الرئيسي للانحراف وللتخلف إلى الأسباب التي هي تأتي في الدرجة الثانية مثل الاستعمار، مثل ترك السعي، مثل خروج المرأة عن التحرك، مثل الترابط الداخلي في المجتمع الإسلامي، مثل هذه المسائل التي ذكرناها في الأيام الماضية، سببها الرئيسي كان فقدان الإنسان المسلم للمجتمع الإسلامي الذي يصونه وينمي كفاءاته.

جاء في فترة قصيرة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأعلن من أول يوم كما يقول، بالنسبة إلى الفيء يعني الأملاك العامة التي خصصها الخليفة الثالث إلى أرحامه، قال: والله لأرجّعنها ولو جعلتموها مهورًا لنسائكم. بدأ يقيم المجتمع الإسلامي من جديد على الطريقة الصحيحة، ولذلك كلّ حياة خلافته حروب، حروب مع الداخل، عليّ بن أبي طالب ما حارب الكفّار، عاش ثلاث حروب كبيرة، أولها الجمل وثانيها صفين وثالثها النهروان، كلّها مع المسلمين، يعني حركة استقامة تصحيح، تصفية داخلية، ما حارب الخارج. موقف يؤكد عمق الانحرافات، ثم الغارات التي كان يشنّها معاوية بواسطة العصابات على المجتمع الإسلامي، وأخيرًا قُتل الإمام في خلال خمس سنوات تقريبًا.

هذه صورة موجزة عن البحث العام. فإذًا، نحن نضع النقطة الرئيسية للتخلف. فقدنا المجتمع الإسلامي، والمجتمع الإسلامي حينما فقدناه تعرضنا للسقوط، مثل الدولاب الفلتان، عوامل السقوط عندنا كان سوء توزيع الأموال بالأساس، الأموال الثلاثة التي ذكرنا، والذي أدّى في نهاية عصر الخلفاء الراشدين... سقط المجتمع الإسلامي وتحوّل الإسلام إلى امبراطورية. هنا يأتي دور الصدام بقيَ مدة، ما بقيَ مدة، عوامل أخرى، عوامل لا تمُت إلى صيانة الإنسان المسلم بصلة. علنًا معاوية في مسجد الكوفة قال: ما حاربتكم للصلاة ولا للصيام وإنما حاربتكم لأتأمّر عليكم وقد كان لي ذلك. هذا مِلاك الحرب: التأمر، الأمارة.

هذه صورة عن الخطّ العريض للمشكلة، وعلى هذا الأساس نحن اليوم لكي نتمكن من تصحيح الأوضاع، لا بد لنا من إعادة المجتمع الإسلامي إلى الوجود. وإعادة المجتمع الإسلامي في الدرجة الأولى تعود إلى معرفة الإسلام، أن نعرف وأن نُعرّف حتى نجد الجوّ الملائم لقبول هذه الدعوة. اليوم إذا أنت قلت إن مشاكل الأميّة في العالم، والجوع في العالم، والاستعمار في العالم مشاكل هذه الأمور تُحل بواسطة الإسلام لا يصدّقك أحد، لماذا؟ لأنه ليس عند الناس حتى عند المسلمين فكرة صحيحة عن الإسلام، ولأنه ليس هناك ولا تجربة، يعني ليس في أقطار العالم قطر ولو صغير يكون فيه الحكم الإسلامي ولا بلد.

فإذًا، الجزائر تتحرر من الاستعمار بقوة الشعور الإسلامي، وبعدما تتحرر يجد الحاكم في الجزائر نفسه أمام مشاكل اقتصادية واجتماعية صعبة وحادّة. لو كان الإسلام معروفًا لديهم بالشكل الصحيح لما كانوا يفضلون على الإسلام شيئًا.

نفس هذا المأساة على ما سمعت عاشه القذافي في ليبيا بعد ثورته، بلّغوني في مصر أنه القذافي كان يفتش في مصر عند أشخاص من هنا وهناك حتى يجد حلولًا إسلامية لمشاكل بلده.

وأنا كشخص مُجرَّب في هذا الحقل، أقدر أن أقول لكم إن الدراسات الإسلامية وأن الوجه الحقيقي للإسلام الذي اتضح في بعض مجالات، وفي بعض كتب، وفي بعض حقول لا يزال على الوجه العام خافت وخافٍ.

علينا في هذه المرحلة، واجبنا الأول في هذه المرحلة أن نحاول معرفة الإسلام وتعريف الناس بالإسلام، حتى يتهيأ الجو لتحرك صحيح وواعٍ بهذا الصدد.

هذه خلاصة الكلمة طبعًا في الأسباب الثانوية التي نتجت عن السبب الأول تفاصيل أخرى نتحدث عنها مساء السبت القادم إن شاء الله، مع ذكر موجز عما قلنا احترامًا للشباب الذين ما تمكّنوا الليلة أن يحضروا مع الإبلاغ. وسوف تكون جلساتنا الدورية إن شاء الله مساء السبت بإذن الله ابتداءً من الأسبوع القادم في الساعة السابعة، وها أنا الآن بانتظار أسئلتكم.

س: [...]

ج: [...] عمرها أمام طريقين، إما أن تختار طريق الحياة الزوجية، وإما ألّا تختار ذلك. إذا اختارت الحياة الزوجية فسوف تختار الأمومة، تصحيح البيت، تربية الأولاد، وهذا الحلّ الذي يعرضه عليها الإسلام، وقد لا تختار الزواج. صحيح أن هذا خلاف السُّنة، أن المرأة لا تتزوج والرجل لا يتزوج، هذا خلاف السُّنة ولكن ليس حرامًا. فالمرأة إذا قالت أنا لا أريد أن أتزوج، طيب، لا تتزوج ليست مجبرة أن تتزوج، عند ذلك تريد أن تختار شغلًا أهلًا وسهلًا فيها، المطلوب من المرأة أنه في أيّ شغل عملت تكون محافظة، يعني: {لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها} [النور، 31]، هذا الحقّ الوحيد الذي لنا عليها، تريد أن تشتغل مهندسة، تريد أن تشتغل معلمة، تريد أن تشتغل محامية، أيّ شيء تريد أن تشتغل، أنت لك عليها أن تكون محافظة لا أكثر ولا أقل.

س: **الإسلام، ماذا يقول في ذلك؟**

ج: في أول الخطّ، إما أن تختار الحياة الزوجية، حياة الأمومة حياة تربية الأولاد، وإما أن تختار الحياة العامة. إذا اختارت الحياة العامة فليس لك عليها حقّ أن تقول لماذا تختار الحياة العامة، أنا أريد أن أختار الحياة العامة، لك عليها أن تلتزم بحجابها، الحجاب ماذا يعني الحجاب؟ كلمة الحجاب ما وردت، الحجاب في الإسلام أن: {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض} [الأحزاب، 32]، أن: {لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن} [النور، 31] أن: {لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها} [النور، 31]. ما قال لك الإسلام إن المرأة يجب أن تبقى في البيت و(مسكّر) عليها، وما قال إنه يجب أن تلبس أبدًا، كلّ وجودها لبس الشعر، لبس العنق، لبس الصدر، لبس الأرجل، يعني الحجاب الشرعي ما يُقال بالحجاب الشرعي. وليس ممنوعًا على المرأة أن تقوم بأيّ عمل.

أما اليوم لا يسمحون للمرأة أن تروح تدافع، أنا لا أتصور إذا المحامية اليوم إذا لبست على رأسها ولبست مثلًا لبسًا كاملًا محتشمًا، دخلت قاعة المحكمة حتى تدافع، ما أتصور أن أحد يمنعها، أو إذا راحت للجامعة. أنا شاهدت مرة حضرت حفلة تخريج في جامعة بيروت العربية، بنتين بلبس كامل، وحضرتا وأخذتا شهاداتهما، أنا ما شاهدت أبدًا أيّ استنكار، بالعكس علينا أن نقتحم هذه المجالات. الآن علينا أن نأخذ كلّ الحقول، لا نترك الحقول الأخرى مجالًا ومعرّضًا للاحتلال من قبل الفئات غير المتدينة.

س: لماذا لم يتسلم الإمام عليّ الخلافة مباشرة بعد وفاة النبي؟

ج: عليك بالكتب والتاريخ، ما تركوه، حصل مشكلة السقيفة، مثلما يقولون ومشاكل أخرى يعني، هذا تاريخيًا معروف جوابه.

س: إذا كان توزيع الزكاة بالأشكال الثلاثة التي ذكرت مضرّ بالمجتمع، فما هو التقسيم الذي تطرحونه؟

ج: أنا لا أطرح تقسيمًا إلّا الشكل الصحيح الإسلامي، الإسلام يصرّح في أكثر من مكان - أرجو الانتباه- لا تجوز الصدقة لمحترف ولا لذي مرّة سويّ قويّ، يعني الشخص المتسول الذي يمتهن السؤال لا تحلّ له الصدقة، والإنسان السوي القوي الذي يقدر أن يشتغل لا تجوز له الصدقة، لكن أترك الصدقة... لا تعطيها للكسول الذي لا يشتغل ولا الذي يشتغل على أساس التسول. كيف توزِّع؟ حسب الظروف، اليوم أنا أتصور الضمان الاجتماعي، وإعطاء العامل راتب أيام العطلة، أو أيام المرض، أو الإنفاق على أولاد العمال في المدارس، من أفضل صور توزيع الزكاة.

طبعًا الحكومة الإسلامية تتمكن أن توزع الزكاة بالشكل الصحيح، فنحن لا نطلب شيئًا جديدًا، نطلب التوزيع الصحيح فقط، لكن ما الشكل؟ الشكل يعود إلى مستوى المجتمع وتفكير الحاكم، يعني هذا الذي يسمونه منطقة الفراغ، يعني شؤون الولاية كلّ وقت بشكل.

س: ما هو دور المرأة في الإسلام، في سبيل تكوين المجتمع الإسلامي برأيكم؟

ج: هذا الجواب ذكرته. هي تختار الطريق، إما طريق تربية الأولاد وخدمة الزوج وخدمة البيت، لأجل إعطاء فرصة للرجل حتى يتفرغ للحياة الاجتماعية، وإما أن تختار دور الاقتحام في الحياة الاجتماعية، راجع إليها.

س: ما رأيكم في الاختلاط؟ وهل تفضلون على المستوى الابتدائي أم المستوى الجامعي أم الاثنين معًا؟

ج: في الحقيقة هذا السؤال مبتور، يعني إذا قلنا اختلاط، يعني اختلاط بالمستوى الذي نعيشه نحن اليوم، يعني مثلًا اختلاط بالشكل غير الشرعي، والجلوس بالشكل غير الشرعي، لبس الملابس المثيرة، عدم الالتزام بالشؤون والحجاب الشرعي. وبلا شك المرأة إذا ما التزمت بما فصّلناه على ثلاثة فصول: {ولا يخضعن بالقول} [الأحزاب، 32]، {ولا يضربن بأرجلهن} [النور، 31]، {ولا يبدين زينتهن} [النور، 31]. يعني عدم الإغراء في الكلام والمشي والملبس، إذا ما التزمت بهذه الأمور الأفضل عدم اللقاء معها، لأن كلّ التقرب منها يزيد في المشكلة ويزيد في الفساد، ولذلك في الحالة الحاضرة، يعني بمستوى الملابس والوضع والعقلية القائمة الآن، أنا لا أفضل أيّ اختلاط. ولذلك نحن نسمح بمشاركة السيدات في هذا اللقاء بالشكل الذي نراه عندهن والذي نرجو أن يبقين على ذلك، لأن جلستنا هذه نريد أن - على الأقل- نكوّن، نطبّق في هذه الجلسة الأسلوب السليم. نطلب منهن الالتزام بالحجاب الشرعي والحضور وإذا كان هذا معناه الاختلاط، فليكنْ. أما ما عدا ذلك فأنا لا أفضل الاختلاط. ولكن سوف لا أمنع ابنتي إذا كبُرت إن شاء الله، الآن صغيرة بعدها، إذا كبُرت فسوف لا أمنعها من دخول الجامعة، ولكن سوف تلبس وتتحدى المجتمع إن شاء الله إذا كانت بنتًا صالحة، وأرجو أن تكون بنتًا صالحة.

وأنا في بعض محاضراتي، في أوساط غريبة جدًا وجدت بعض السيدات وبعض الفتيات اللواتي يحضرن هذه الاجتماعات، يحضرن متحديات، وأنا كثيرًا ما أرتاح يعني وأتشجع بالحديث، هكذا يجب أن يكون التقوى الإيجابية، يعني كن ملتزمًا واقتحم الدنيا، ليس أنه فقط في الكهوف في الجبال أو في الكهوف في البيت، هذا ليس خطًّا إسلاميًا أبدًا.

س: إننا نعلم إن الاقتصاد اللبناني يرتكز على العوامل التالية التي بدونها ينهار الاقتصاد اللبناني وهذه العوامل هي البنوك الربوية، الكازينوهات المتعددة، سباقات الخيل، اليانصيب الوطني، التهريب، فإذا كان هذا هو أساس الاقتصاد، فإذا فرضنا أن حكمًا إسلاميًا عاد إلى الظهور، فكيف السبيل للاستقلاع عن هذه الأشياء على الرغم عن صغر حجم الأرض وكثرة الحاجيات لدى الفرد وأهم مثل انهيار بنك أنترا، وما جرى على لبنان من ويلات، فكيف إذا ذهبت جميع الأمثال المرسومة أعلاه؟

ج: أنا أتصور، يا أخي، أنه إذا بالفعل وُجد حكم إسلامي، يجد طرقًا كثيرة للتوفير وللإنتاج، ولإدارة الاقتصاد، والتجارة بأنواعها غير الربوية مباحة، حتى في البنوك هناك دراسة موضوعة

جديدة حول البنك اللاربوي، بأسماء وأشكال مختلفة ممكن أن تتأسس. السياحة بالشكل المشروع، التجارة، الزراعة حتى زراعة الأراضي في لبنان غير مكتملة، الصيد من البحر وغير البحر وأساليب الصيد، لا يزال في لبنان أقلّ بكثير من البلاد التي تعيش على أساس الاصطياد. فما أتصور أن هناك مشكلة إذا تنازلنا عن هذه الأمور، خاصة إذا أردنا ألّا نبني أمجادًا وقصورًا على أساس الحرام. مرة نريد أن نبني قصورًا فخمة، وملابس كثيرة ولا أعرف ماذا على أساس المحرّم فهذا يعود إليهم.

هنا أتذكر موضوع أمس انتبهت له، أحب أن أذكره لكم، كنّا نتحدث عن إمكانية صندوق قرض الحسنة، لأنه كما تعرفون الإسلام يشجِّع جدًا القرضة، ويفضل درهم القرضة على درهم الصدقة، فالحديث يقول: درهم الصدقة يعادل عشرة من الأجر، ودرهم القرضة يعادل ثمانية عشرة، القرضة أفضل من الصدقة على شرط أن تكون دون ربا، يعني لا تجلب نفعًا.

كانوا يتساءلون أنه إذا أسسنا بنكًا، ووضعنا أموالًا وبدأنا نعطي القرضة للناس دون ربا سنخسر، يعني نريد أن ندفع راتب الموظفين أولًا، وثانيًا ما هذا المال؟ كثير من الناس يأخذون ولا يدفعون وأمثال ذلك. الحقيقة أن تجاه هذا عدة أجوبة، هناك جواب معروف وكلّي، أنه محلّ ما نعطي قرضة نشرك في النشاطات الإنتاجية، هذا متعارف اليوم في العالم، يعني تأتي شركة تموّل مساكن شعبية أو بساتين أو كذا على شرط أن يكون لهم من الأرباح نسبة معينة.

في سبيل وحدة المسلمين[7]

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الأخ الجليل الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية الموقّر،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحيّة الإسلام الطيّبة، وبعد:

في هذه الأيام العصيبة التي تلفّ الأمة بالقلق، وبين يدي هذه الأخطار المحدقة التي تجعل المنطقة كلّها، حاضرها ومستقبلها، في مضرب الطوفان، تبدو لنا بوضوح أكثر فأكثر حاجة المسلمين الملحّة إلى وحدة شاملة متلاحمة، لجمع ما تفرّق من صفوفهم وتوحيد ما تبعثر من جهودهم، وذلك حتى تتبيّن لهم مواقع أقدامهم، وتعود الثقة إلى أنفسهم وهُم في طريقهم إلى المستقبل وأمام بناء تاريخهم وأداء مسؤولياتهم.

إن جمع الكلمة لتوحيد الطاقات ولتنمية الكفاءات ليس موجهًا، كونها من أشرف الغايات الدينية ووصية نبينا العظيم فحسب، ولكنها أيضًا تتصل بوجودنا وكرامتنا وبمقومات وجود أجيالنا، إنها مسألة حياتية.

ووحدة الكلمة هذه لا ينبغي أن تظلّ شعارًا مرفوعًا أو كلمة مكتوبة، بل يجب أن تكون ومضة الفكر وخفقة القلب ودرب السلوك، إنها البُعد الأساس للمستقبل.

ولا يكون ذلك إلّا ببذل عناية فكرية خارقة، وإيلائها اهتمامًا وجدانيًا خاصًا، والسعي والسهر من أجل تكريسها. عندئذ تصبح الوحدة حقيقية قائمة، ونموذجًا عليه يُحتذى، ومثلًا به يُقْتدى.

صاحب السماحة،

وها نحن نضع تجربتنا المتواضعة بين أيديكم، وكان قد سبق وعُرِضَت في أول لقاء بيننا في دار الإفتاء الإسلامية منذ أربعة أشهر.

إن توحيد كلمة المسلمين وعقولهم وقلوبهم، وبتعبير أدَقّ، إن تعميق وحدة المسلمين وجعْلِها على ركائز فكرية وعاطفية متينة يتحقق بطريقين:

1- توحيد الفقه:

فالصرح الإسلامي الواحد في الأساس، والأمة الواحدة في العقيدة والكتاب والمبدأ والمنتهى، بحاجة إلى وحدة التفاصيل، وتوحيد هذه التفاصيل المختلفة أو تقريبها، أمرٌ لم تفتْ رؤياه الكبيرة سلفَنا الصالح من علمائنا الأبرار قدس الله أسرارهم.

فقد رأينا الشيخ أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسي وضع كتابه "الخلاف" منذ ما يزيد على ألف سنة في الفقه المقارن، وتبعه العلاّمة الحلّيّ الحسن بن يوسف بن المطهر في كتاب "تذكرة الفقهاء"، والفقه المقارن هو النواة الصالحة لاستنبات الوحدة الفقهية ولاكتمال وحدة الشريعة.

وفي أيامنا ومنذ ثلاثين عامًا، أسّست نخبة فاضلة ومجاهدة من كبار علماء المسلمين دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة. ومن بينهم المغفور له الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم، والمغفور له الأستاذ المجدّد الشيخ محمود شلتوت، والمغفور له عميد كليّة الشريعة بالأزهر الشيخ محمد محمد المدني، وكبار علماء المسلمين في لبنان وإيران والعراق كالمقدس سِرّه الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، والمغفور له المرجع الأعلى للطائفة الإسلامية الشيعية في العالم السيد حسين البروجردي، والأستاذ العلاّمة الجليل الشيخ محمد تقي القمّيّ سكرتير دار التقريب الدائم.

وقد تبنّت مؤسسة التقريب هذه - عدا خدماتها الواسعة- مشروعًا وضع خطوطه الأولى وبدأ بتنفيذها والدنا المغفور له الإمام السيد صدر الدين الصدر في كتاب "لواء الحمد"، وهو محاولة لجمع كلّ ما رواه المسلمون في مختلف فرقهم عن النبي (صلى الله عليه وآله) في سائر حقول العقيدة والشريعة، ليكون مرجعًا للمسلمين بعد القرآن الكريم، وبتعبير أدقّ سعى لتوحيد السُّنة النبوية المطهّرة.

وقد وضع خلال هذه الفترة بعض هؤلاء الأعلام وغيرهم، أبحاثًا وكتبًا حول الفقه على المذاهب الإسلامية.

ثم جاء دور الموسوعات الفقهية، وبدأت جامعة دمشق بوضع "الموسوعة الفقهية"، وبدأت جامعة الأزهر بتأليف "موسوعة عبد الناصر للفقه الإسلامي"، والآن تجري في جامعة الكويت نشاطات كبيرة حول إكمال "الموسوعة الفقهية".

وألَّف الأستاذ الأكبر عميد كلية الفقه في النجف الأشرف السيد محمد تقي الحكيم كتابًا جليلاً حول المبادئ العامة للفقه المقارن.

إن هذه المساعي البنّاءة بدأت تعطي ثمارها في فتاوى فقهاء المسلمين، وتؤكِّد إننا أصبحنا على مقربة من وحدة الفقه بإذن الله.

2- طريق المساعي المشتركة:

وهذا الطريق يبدو في الظروف الاستثنائية، مثل ظروفنا في لبنان، أكثر ملاءمة وأسرع إنتاجًا، ويتمثل بحشد جهود مشتركة لتحقيق أهداف متنوعة يُعدّ بحدّ ذاته كسبًا وحدويًا ويؤدي السعي المشترك إلى تلاقي العاملين في ميدان واحد كرفاق سلاح، فتشيع الثقة وترتاح النفوس حيث تتجلّى وحدة العقيدة والمشاعر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض هذه الأهداف:

أ- الأهداف الشرعية المحضة: مثل توحيد الأعياد والشعائر الدينية، وصيغ بعض العبادات كالأذان والجماعة وغيرها.

فبالإمكان درس اقتراح يرمي إلى الاعتماد على الطرق العلمية الحديثة لاكتشاف وجود الهلال في الأفق في زاوية الرؤية، توصلًا إلى معرفة العيد بصورة دقيقة، لكي يمكن للمسلمين في العالم اعتباره في يوم واحد، ولكي يوفّر لهم المتاعب التي تحصل لهم ولكلّ من يريد مشاركتهم بزيارة أو عطلة أو خلافه، تلك المتاعب التي نعيشها لتأخّر ثبوت العيد. وبالإمكان درس صيغة مقبولة للأذان لدى الجميع.

ب- الأهداف الاجتماعية: وتبدو صورة هذه الجهود المشتركة في المساعي الرامية إلى مكافحة الأمّية والتشرّد ورعاية الأيتام ورفع مستوى حياة الكادحين.

ومن السهل تأسيس مؤسسات لهذه الغايات السامية ودعم الموجودة منها برعاية أوسع وتأييد أمنع.

ج- الأهداف الوطنية: وهل هناك ريب في وحدة مشاعرنا الوطنية؟

فوجوب المشاركة الفعلية لتحرير فلسطين،

وواجب حماية لبنان من مطامع العدو الغادر،

وواجب دعم المقاومة الفلسطينية المقدّسة،

وضرورة الاستعداد التام والتعاون الكامل مع الدول العربية الشقيقة لمواجهة العدوان المحتمل في كلّ لحظة،

وموضوع تحصين الجنوب بصورة خاصة،

وكلّ لبنان بصورة عامة ليصبح قلعة عليها تتكسّر قرون إسرائيل وتتبدد مطامع الاستعمار،

كلّ هذه... أهداف ليس عليها أدنى خلاف؛

ولكنّها كلّها بحاجة ملحّة لوضع دراسات دقيقة لتنفيذها ولتحديد المسؤوليات فيها، وتنسيق جهود جميع أبناء هذا البلد فيما بينهم ومع المسؤولين ومع الدول العربية، ولتجنيد طاقات المسلمين في العالم وأصحاب الضمائر الحيّة والنوايا الحسنة في كلّ مكان.

ولأجل المشاركة الحقيقية في هذه الواجبات - أيّ بذل جميع ما في الوسع- علينا أن ندرس هذه الأمور وبرامجها وأساليبها بصورة مشتركة تسهّل تنسيق النشاطات ومضاعفتها.

هذه نماذج نعرضها على سماحتكم، على أمل دراسة الموضوع من كلّ جوانبه، وتكليف ذوي الاختصاص لتكوين لجان مشتركة والشروع في العمل فورًا.

صاحب السماحة،

وقبل أن أوقّع هذه الرسالة وأقدّمها، نلفت نظر سماحتكم إلى أن شهر رمضان المبارك أصبح قريبًا، ورمضان المبارك فرصة فريدة - كما تعلمون- لخلق جوّ روحي وبطولي يعيش فيه المسلم ذكرياته الخالدة، لكي تنعكس تلك المواقف العظيمة على حياته فتتحول إلى حركة مماثلة تصنع واقعه في هذه الأيام.

ولذلك، نرجو الإسراع بتكليف المسؤولين عن هذا الشأن بدار الإفتاء الإسلامية، للاجتماع بأعضاء لجنة النشر والإعلام في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بحضور وتعاون بعض الناشطين من المؤمنين الاختصاصيين في دوائر الإعلام الرسمية، لوضع برامج متكاملة تساعد على خلق الأجواء المناسبة لهذا الشهر العظيم، وتذكّي في نفوس المسلمين جذوة الخير والحقّ والبطولات.

دمتم يا صاحب السماحة للإسلام وللخير كلّه، ولإخوانكم أعضاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ولأخيكم المخلص.

موسى الصدر

1/10/1969

أساليب التربية الإسلامية[8]

بسم الله الرحمن الرحيم

يختلف المؤتمر الثامن عن المؤتمر السابع بأمور عديدة،

منها، أننا فقدنا خلال هذه المدة، أيّ منذ 1972 حتى 1977، مجموعة من نخبة زملائنا: الشيخ محمد أبو زهره، الشيخ عبد الله غوشه، الأستاذ صالح بويصير والأستاذ مالك بن نبيّ نترحم عليهم.

ومنها، أن المؤتمر السابع كان في أجواء احتلال القنال وسيناء، وكنّا نزور مدينة السويس ولا نجد فيها موجودًا حيًّا، عدا الجنود والضباط والذين كنّا نلتقي بهم في مسجد الشهداء، وكان كالقلعة الراسخة في وجه العدو محفوفا بأكياس الرمل.

أما اليوم فإن القنال وقسمًا من الجولان، ومدينة السويس عادت إلى طبيعتها.

ولم يكن هذا هو النصر الوحيد للعرب والمسلمين، بل كان بداية انتصارات لهم وهزائم للعدو الإسرائيلي، سياسية، دبلوماسية، بترولية واقتصادية.

وكان آخرها ثقافية إيديولوجية حيث طُرِدت إسرائيل من منظمة الأونيسكو، واعتبرت الأمم المتحدة أن الصهيونية نوع من العنصرية، وهذه هي بداية النهاية لإسرائيل حيث إن العالم لفظها واعتبرها غريبة عن العائلة البشرية التي ترفض التصنيف العنصري.

ولذلك، فإن إسرائيل انتقمت من العرب في لبنان حيث شنّت عليه حربًا غير مباشرة، وأصابت العرب ولبنان بخسائر بشرية ومادية تفوق جميع ما أُصيب به الجانبان في جميع الحروب

العربية الإسرائيلية.

ولا تزال الحرب مستعرة في جنوب لبنان حيث تريد إسرائيل فرض التعامل على أبناء الجنوب وتطمع في مياه الجنوب، وتريد خلق حزام أمني لها في وجه الفلسطينيين، ولكن أبناء الجنوب صامدون يفضلون التشريد والخسائر والموت على ذلك.

وقد أصابت إسرائيل العرب بخسائر معنوية أهمّها خلق فتنة طائفية، وإيجاد اهتزاز في الوحدة الوطنية، الأمر الذي يشكل خطرًا على العرب ويؤكد الوجود العنصري لها. ولم تزل إسرائيل للعرب وللمسلمين وللمسيحيين بالمرصاد، حيث إنها تستعمل أنواعًا من الحرب المتنوعة ضدهم جميعًا، وهي الآن تدعي حماية المسيحيين في الجنوب وهي الخطر الأكبر عليهم. وهي تحرض وتفتن وتخلق مشاكل وتيارات حضارية وثقافية. ولذلك، فإن القيادة الإسلامية تعيش اليوم أخطر مراحل حياتها، وهذه تستدعي اليقظة والحذر والارتفاع بمستوى العصر.

قد يبدو للوهلة الأولى أن أساليب التربية بعيدة عن أصول الدين، حيث إن الفقه الإسلامي يبحث في قسم الآداب والسنن، وفي مسائل الولادة من كتاب النكاح عن تربية الطفل مثلًا، بينما الأصول هي الجذور العقيدية والثقافية للإسلام، وهي الأوّليات والبدايات فيه.

ولكن المزيد من التأمل، يكشف أن القرآن الكريم نفسه يعتمد في تربية المسلمين - أفرادًا وجماعات- أسلوب التقيّد بالأصول كما نشاهد خلال هذه الدراسة، كما يثبت أن فصل الأساليب التربوية عن الأصول هو جزء من المأساة الكبرى لاستيعاب الإسلام وللدعوة إليه.

إن هذه الدراسة تعرض أولًا أساليب التربية المختلفة، ثم تحاول اكتشاف الأسلوب القرآني وهو الترابط المتين بين الأسلوب التربوي وبين الأصول، وهنا تلقي الدراسة أضواءً على طريقة القرآن لعرض الإسلام والدعوة إليه، وهي طريقة تختلف كليًّا عن الطريقة الأكاديمية، وهي تعتمد تقسيم مسائل العقيدة أو الشريعة، وتفصيل الشريعة إلى الفقه والأخلاق، ثم تقسيم الفقه إلى كتب في العبادات والمعاملات والسياسات والأحكام... وهكذا.

وفي نهاية الدراسة، نبحث عن الضرورات التربوية الحادّة المعاصرة، وعن بعض المقترحات لمواجهتها.

أولًا، الأساليب التربوية والأسلوب القرآني:

1- إن الأسلوب البدائي للتربية هو توجيه الأمر والنهي إلى موضوع التربية (المربّي)، ولا شك أن له تأثيرًا محدودًا ومضاعفات سلبية أحيانًا، سيّما عندما يُستعمل العنف في سبيله وعندما لا يؤخذ وضع المربّي النفسي بعين الاعتبار.

2- ويأتي الأسلوب الأرقى من ذلك عندما يستعمل المربّي وسائل الإقناع، ويحاول التصرّف في عقل المربّي وقلبه لكي يقتنع بالهدف ويحبّه لينطلق نحوه.

3- أمّا الأسلوب الثالث الذي يعتزّ به أصحاب المدارس الاجتماعية الحديثة، فهو التوجّه أولًا إلى البيئة للمربّي فردًا كان أو جماعة، لتصبح مناخًا ملائمًا للهدف التربوي، وليتكوّن تيّار نحوه يسهل معه على المربّي العمل والإقناع. والقرآن الكريم يستعمل هذه الأساليب الثلاثة في آن معًا، ويضيف أسلوبًا رابعًا هو من اختصاصاته، ويُعتبر من معجزات الإسلام، حيث تحاول المدارس الإصلاحية والثورية المتأخّرة أن تقتبس منه.

إن القرآن الكريم يأمر وينهى بمختلف التعابير والوسائل، ويذكر الدليل تلو الدليل، ويعتمد على الفطرة وعلى المرتكزات الراسخة عند الشعوب، وعلى العبَر التي يمكن استخلاصها من الأمم السالفة، ويستعمل ألفاظًا تشبه الأدلّة، مثل كلمات الطيّبات والخبائث، ويذكّر دائمًا برحمة الله ومحبّته ونِعمه وعلمه بمصالح الناس، كلّ ذلك حتى تكون القناعة المقترنة بالمشاعر (متوجّهة) نحو الوظائف (الأسلوب الثاني).

ولقد أعلن الرسول الأعظم في خطبة الوداع: "أيّها الناس، ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة ويباعدكم عن النار إلّا وقد أمرتُكم به، وما من شيء يقرّبكم إلى النار ويباعدكم عن الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه".

أمّا اهتمام الإسلام بتكوين البيئة الصالحة فيبدو من تعاليمه القاطعة حول وجوب إقامة المجتمع الإسلامي، ومن توجيهه التامّ من أجل مناخات ملائمة كالجماعة والجمعة والحجّ وشهر رمضان والأعياد، ورفض الاعتزال عن الناس وعدم اعتزال الجماعة، والمنع عن عِشرة المفسدين والفسَقة والعصاة إلّا لإصلاحهم وهكذا.

ومع ذلك كلّه، يستعمل القرآن الكريم أسلوبه الخاص الذي يمكن أن نسمّيه ثورة في المفاهيم، أو تحوّلًا عميقًا في الرؤية العامة للكون والحياة وارتباط الهدف التربوي.

وعندما يرسم القرآن الكريم صورة الخلق والموجودات والحياة من خلال العقائد ومن خلال المعلومات التي تضيفها آياته البيّنات إلينا، فإنه يحاول خلق مناخ كوني عام في ذهن الإنسان يحسّ معه بأن البقاء والنجاح والخلود هو في الالتزام بالتوجيهات الإسلامية، وأن الوجود ينبذ كلّ فرد وكلّ جماعة لا تنسجم مع هذه القواعد، وأن مصيرهما هو الفناء والنسيان.

إن هذا الأسلوب في تفوّقه على الأساليب السابقة لا يقبل الجدل، وله مزايا متعددة نحاول تعدادها بعد إيضاح معالم هذا الأسلوب واستعراضه.

في سورة الرحمن الآيات 7-9 منها: {والسماء رفَعها ووضَع الميزان ألاّ تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسروا الميزان}، نلاحظ الربط بين طلب عدم الطغيان في الميزان وإقامة الوزن بالقسط، وبين رفع السماء ووضع الميزان الذي هو تعبير عن الحساب والنظام والعدالة الكونية.

وفي سورة آل عمران الآية 1: {شهِد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط} ، وهنا تأكيد على قائمية الله بالقسط، ونجد آيات أخرى كنتيجة للآية الأولى، وأوضحها: {إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشّرهم بعذابٍ أليم} [آل عمران، 21]، حيث إن الإدانة لمعادي القسط ولخصوم العدالة معلَّلة بقائمية الله بالقسط وثمرة من ثمارها.

وفي سورة الأنبياء نقرأ: {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين}، وفي الآية، 18 نصل إلى بعض نتائج هذا المبدأ: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء، ١٨].

وفي بعض المقامات ترِد النتائج قبل المبادئ، ومنها الآيات: 25-29 من سورة الدخان: {كم تركوا من جنّات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك و أورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين}، {ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون} [الدخان، 38-39]، حيث إن فناء

الذين يتركون الجنّات والعيون دون أيّ ردّ فعل، لأن قوم تبّع كانوا أقوى منهم، وهم تنكّروا للبعث والحساب، أقول إن فناء هؤلاء أثر طبيعي لخلق السماوات والأرض مبنية على الحقّ.

الآيات التي تؤكد أن الخلق كان في ستة أيّام وأنه كان خلال أجل مسمّى، مع وضوح معنى الأيام في المصطلح القرآني وأن المقصود منها في المراحل والعهود، كما يتّضح ذلك في مقدمة سورة فصّلت. أقول إن التأكيد على كون الخلق حصل خلال أجل مسمّى "ستة أيام" تمهيد للنتائج المهمّة التربوية التي تنتج عنها، وهي حسب الوصف القرآني انهزام الروم بعد غلبتهم، وأنهم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا (سورة الروم)، وضرورة التوجه إلى الله ودعائه تضرعًا وخفية وخوفًا وطمعًا (سورة الأعراف)، وتشجيع المؤمنين العالِمين بالقسط والملتزمين بالسنن والحساب والمتفكرين في اختلاف الليل والنهار والظواهر الكونية الأخرى (سورة يونس)، والاختبار في العمل في السباق نحو الصالحات (سورة هود).

وأخيرًا وليس آخرًا، للتوكل على الله وتسبيحه وذِكره، والصبر على ما يقولون استهزاءً وشماتة وافتراءً (سورة الفرقان وسورة ق).

ومجمل القول إن التربية القرآنية تعتمد على توفير الوسائل التربوية المعتمدة، بالإضافة إلى التقيّد بأصول الدين وما تعكسه الأصول هذه من القواعد العامة للخلق وتأسيسه على الحقّ والعدل والأجل المسمّى وغير ذلك من الأساسات التي يعلنها القرآن ويربط بينها وبين المطالب التربوية، وتوجيه حياة الإنسان الذي يريد النجاح نحو المسلك القائم على العدل والحقّ، والمنطبق على صفات الله وتعليمه باعتماد خطّة عمل قائمة على أساس جدول زمني لا متنكرًا للزمن ولا مهمِلًا للتحديد كما هو الحال في الخلق.

ثانيًا، نتائج هذا الأسلوب:

ولمثل هذا الأسلوب القرآني نتائج كثيرة:

أوّلها، تمتد أبعاد العمل المطلوب في تصوّر المربّي وفي الواقع إلى البعيد، فتصل إلى الأزل والأبد وإلى الأرض والسماء وإلى أساس الخلق...

وهذا الإحساس يضمن تأثير التربية كما يصون استمرارها.

ثانيها، أن الإنسان أمام هذا الأسلوب يشعر بالمواكبة العالمية، وأن الموجودات كلّها ترافقه، ولا يحسّ أبدًا بالغربة حتى ولو كان سلوكه مخالفًا أو متناقضًا أو محاربًا مع سلوك الآخرين، ويلمس معنى الحديث الشريف: "لا يهولنّك طريق الحق وإن قلّ سالكوه".

وهذه الميزة بالذات واردة في القرآن الكريم، عندما يؤكّد سجود الشمس والقمر والنجوم والأشجار والبحار والرعد والدواب، ويكرّر أنها كلها ساجدة لله مصلّية له، والإنسان بفطرته وبجسمه أيضًا يمشي في هذا الركب الكوني الكبير، وهذه المواكبة تسهّل جدًا على الإنسان أن يطيع الأمر والنهي وأن يسجد ويسبّح ويصلّي ويعمل الصالحات.

وثالثها، تلاقي كافة طاقات الفرد في جميع أحواله وأزمانه، وتلاقي طاقات الجماعة بمختلف الفئات والمستويات، ذلك لأن المنطلق واحد، والخطّ واحد، والأسلوب واحد، وبذلك تتكون قوّة كبيرة من الطاقات لا تعجز عن تحقيق أيّ هدف مهما كان صعبًا ومستعصيًا. إن طاقات الفرد كثيرة ولكنها تتشتت، وطاقات الجماعات تفوق درجة التصور، ولكنها تتناقض ويصطدم بعضها ببعض، ومع توجيه هذه الطاقات وتنسيقها وتجنيدها فإن القوّة الذاتية للأمة لا تُهزم.

ثالثًا، طريقة القرآن لعرض الإسلام والدعوة إليه:

وبعد أن نستوعب هذا الأسلوب القرآني المعجز للتربية، نصل إلى نقطة أساسية أخرى قد تكون كبرى لبحثنا التربوي، ألا وهي وحدة الإسلام، مع العلم أن الإسلام لدى المسلمين وحتى لدى العلماء والباحثين ولأسباب تعليمية ينقسم إلى عدة أقسام:

- علم العقائد والعلوم المتعلقة به كالفلسفة الإلهية.

- علم الكلام وعلم الفقه بأقسامه العديدة (عبادات ومعاملات وسياسات وأحكام مع الكتب المتعددة في كلّ قسم).

- وأخيرًا: علم الأخلاق.

ونشاهد أيضًا أن تقسيم الإسلام إلى أصول يحتاج إلى إيمان ودليل قاطع، وإلى فروع، وهكذا...

إن هذه التفصيلات التي حصلت بدواعٍ علمية، وعلى أساس درجة الأهمية أحيانًا، خلقت نوعًا من

الضعف التربوي وكثيرًا من الاستهتار، حتى بلغ الأمر ببعض المسلمين أن يعتزّوا بإسلامهم في قلوبهم، ولكنهم يصارحون بعدم الالتزام بالعبادات.

أمّا البُعد عن الأخلاقيات الإسلامية فإنه مرض شائع حتى عند المتدينين، وكذلك يجهل الكثيرون من المسلمين مسائل الحياة الاجتماعية والسياسية.

ويعود السبب في جميع ذلك إلى هذا التقسيم الأكاديمي للإسلام. أمّا القرآن الكريم فإنه يقرن المسائل العقيدية بالمسائل العملية، ويربط بينهما وبين الأخلاق كما شاهدنا ذلك في أسلوبه التربوي.

ففي بدايات سورة البقرة، يصف المتّقين بصفات خمس: ثلاث منها عقيدية، وهي: الإيمان بالغيب، والإيمان بما أُنزل إلى النبي وإلى الأنبياء، واليقين بالآخرة؛ واثنتان منها من المسائل العملية، وهما: الصلاة والزكاة، تأكيدًا على أن الصلاة هي صيانة الإيمان بالغيب، وأن الصلاة من دون الزكاة تستحقّ الويل (سورة الماعون). وقلّ ما يرِد في القرآن دون ذكر العمل الصالح، مع أنهما في حسابات التقسيم الفنّي من مقولتين مختلفتين.

وفي دراسة دقيقة للأحكام الإسلامية، نلاحظ التفاعل الواضح بينها، وأن الممارسات العملية هي ذات تأثير واسع على الإيمان، والإيمان قاعدة للأخلاق ويتأثر بها أيضًا، كما وأن المسائل العقيدية ترسم الخطّة العامة للقضايا الاجتماعية ورؤاها.

وهذه التفاعلات يشير إليها القرآن الكريم في أماكن متعددة، منها: {ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون} [الروم، 10]، {بل يريد الإنسان ليفجر أمامه * يسئل أيان يوم القيامة} [القيامة، 5-6]، فالآيات هذه تؤكد تأثير الأعمال على العقيدة.

والأحاديث عندما تحرّم الكِبر، تعتبره نوعًا من الشرك والتشبّه بسلطان الله عزّ وجلّ، والكثيرون من الكفّار وكبيرهم إبليس استكبروا فكفروا: {خلقتَني من نار وخلقتَه من طين} [الأعراف، 12].

أمّا تأثير أصول الدين سيّما التوحيد، فينعكس على العبادات وعلى ترويض الإنسان وإصلاحه لكي يصبح متعاونًا متفائلًا، يعامل أخاه الإنسان بانفتاح وحُسن ظنّ وتكافؤ، دون أن يتّخذ

منه إلهًا أو شيطانًا أو عبدًا. وكذلك، تأثير المعاد على دقّة الإنسان في سلوكه ومحاسبته لنفسه وإحساسه بالمسؤولية، وغير ذلك من التفاعلات والتأثيرات، فهي تفوق إمكانية البحث والحصر.

إن الدراسات الإسلامية تحتاج إلى مادة خاصة بوحدة الإسلام واعتباره كُلًّا لا يتجزأ، ويجب التحدث فيها عن ترابط الأحكام، ولا بدّ من اعتبار هذه المادة ضرورية لجميع الدارسين والدعاة.

رابعًا، في المسائل التربوية الحادة المعاصرة:

يمتاز عصرنا بأنه عصر الاختصاصات، ولا يمكن تصنيف الناس إلى عالِم وجاهِل، بل أكثر الناس أصبحوا علماء كلٌّ في اختصاصه، وهذا بحدّ ذاته يجعل الدعوة والتربية أصعب مما كانت سابقًا.

ومن جهة أخرى، فإن الأفكار السياسية التي تنطوي في الأغلب على مطامع اقتصادية، أصبحت اليوم تتبنّى عقائد وآراء فلسفية تدعو إليها بجميع الوسائل، وتنطلق من طبيعة مروّجيها والمؤسسات العالمية التي تؤيّدها، وهي مزوّدة بأحدث الأسباب وأدقّ الأجهزة وأغنى الوسائل.

وهذه المدارس التي تحارب الأديان، تتبنّى في نفس الوقت طرق الدعوة الدينية وتطلب الإيمان بمبادئها، وتقف بقوّة وبخطط مدروسة ضدّ دعوتنا الإسلامية، ولا تتورّع عن استعمال جميع الطرق للقضاء عليها.

وليس التهجّم على المؤسسات الدينية وعلى العلماء هو الوسيلة الوحيدة لديها، بل تخلق الانقسامات والخلافات الداخلية وتجنّد عناصر - بعلمها أو بدون علمها- للتصدّي للقادة الروحيين ولتحدّيهم، وإثبات عجزهم عن تحمّل المسؤولية.

إذًا، علينا أن ندرك أن مجتمعاتنا أصبحت ساحة الصراع العقيدي متعدد الأطراف، مع عدم التكافؤ في الوسائل والأسباب.

ومن جهة ثالثة، وبسبب اعتماد السياسات على واجهات عقيدية، فإن تعدد السياسات الحاكمة في بلاد الإسلام جعل التشتت الفكري بين البلاد وداخلها أمرًا محتومًا.

ثم إن الوضع المؤلم وتصاعد التشكيك في القيادات يدفعان بالكثير من الأفراد والجماعات لأن يتصدّوا للمشكلة، رغم عدم كفاءاتهم بسبب الآلام النفسية، وهذا الوضع بدوره يدفعهم إلى معالجات خاطئة متطرّفة أحيانًا، مسايرة مايعة أحيانًا أخرى، ولكلّ من الطريقتين ردود فعلهما وتفاعلاتهما الاجتماعية، ومن جملتها التعرّض للأقلّيات التي هي بدورها مصابة بمثل هذه الأمراض، فيضعها في جوّ الدفاع أو يعطي المستعمر ذريعة تجعل الأقلّيات في أجواء الدفاع عن النفس، فتزداد الصعوبات، وهكذا.

كلّ هذه المِحَن، ولا نزال نتحدّث عن الأرضية التربوية الموجودة في عالمنا الإسلامي دون أن نذكر إسرائيل وشرورها وسمومها ووسائلها المتنوعة الخطرة، ودون أن نتحدّث عن الاستعمار وقدرته وحبائله وثقافاته وتبشيره. فإذا أردنا استعراض الوضع مع هذه العناصر الأساسية، وحاولنا دراسة المشكلة بجميع أبعادها، فإن الأفق يبدو حالكًا، والمستقبل مظلمًا، والعواصف الهوجاء تعصف بنا من كلّ جانب.

هل المِحَنة القاسية تدعونا إلى اليأس؟ كلا. {إنه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون} [يوسف، 87]، ولكن الاستهتار بالمشكلة وعدم الاستعداد لمواجهتها لا يجتمعان مع روح المسؤولية، فالمبدأ الذي نرفض به اليأس يأتي بعد قول يعقوب: {يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه} [يوسف، 87].

خامسًا، بعض المقترحات:

إن من عنايات الله وجودنا الآن في مؤتمر يضمّ علماء المسلمين من أقطار العالم، وهو المؤتمر الثامن، يعني أن أمامه مجموعة من التجارب تمكنّه من تقييم الأمر. ووجود مجمع البحوث الإسلامية دليل على عزم الأزهر الشريف على مواجهة المشكلات بروح المسؤولية التامّة. ولست هنا لأقترح مزيدًا من الأعباء والتكاليف على الأزهر دون أن أدعو نفسي ورفاقي في المؤتمر لأجل تحمّل مسؤوليات المرحلة المعاصرة، فالمقترحات للدرس والمناقشة ولكي يقوم كلٌّ منّا بدوره.

إن القيادة المسؤولة عن الإسلام بحاجة إلى عناصر ثلاثة:

أولًا، تكثيف الجانب الروحي والتهذيب النفسي للدعاة، فالعالم اليوم رغم تقدّمه المادي، بل بسبب هذا التقدّم متشوّق إلى الصفاء الروحي والتنّزه عن الماديات، ولا بدّ من الاعتراف بأن

مظاهر الكثير من علماء الدين لا توحي بهذا.

لا أقول إن العالِم الديني والداعية يجب أن يترك متعة الحياة الدنيا، فإن الإسلام يرفض الرهبانية، وعليّ (ع) يقول: "ليس الزهد ألّا تملك شيئًا، بل الزهد ألّا يملكك شيء". بل أقول إن نموّ الوضع المادي المحيط بالإنسان يجب أن يرافقه النموّ في الجانب الروحي لكي لا ينجرف، وهذا ما نطالب به بإلحاح.

إن ذرّة من الروحانية لا تزال تتغلب على الكثير من الأسباب المادية وتجاربنا في أقطار العالم، حتى في البلاد المتقدمة جدًا تثبت ذلك.

ثانيًا، وضوح الاهتمام بوضع المعذّبين، وعدم الرضا بسلوك الظالمين، والسعي الدائم للتخفيف عن آلام الناس، والغضب على من يحرمهم حقهم.

لماذا نترك النضال في سبيل الطبقات الكادحة أو المستثمرة تحتكره الأحزاب الإلحادية، والإسلام لا يقبل إيمان من بات شبعانًا وجاره جائع؟

أَلَم يأمرنا الرسول الكريم بأن نُنكر المنكر بيدنا أو بلساننا أو بقلبنا؟ وعلى جميع الافتراضات، فإنه غير راضٍ حتمًا عن مسايرة الظالمين والركون إليهم.

إن الإنسان المعاصر معذَّب، يشعر مهما بلغ بدرجة من الحرمان، ويحمّل الأنظمة والأشخاص مسؤولية حرمانه وعدم توفير الفرص المتناسبة له، وهو ينتظر أن يحسّ في الداعي أو العالِم المسلم حرارة النضال وصرخة الحق.

ثالثًا، تطوير الشكل وتحديثه يعني الاستعانة بالوسائل المتطورة والأساليب الحديثة لعرض الأفكار والأحكام ولتنظيم المؤسسات الدينية، بحيث تصبح من حيث الشكل ووسائل العمل بمستوى المؤسسات العالمية.

إن إحصاءً دقيقًا ومتجددًا عن المسلمين في العالم وعن شؤونهم التربوية، وعن قادتهم الروحيين، وعن مؤسساتهم الدينية والثقافية، وعن كتبهم وجرائدهم وحصصهم في الإذاعة المسموعة والمرئية وعن إمكانياتهم، كلّ ذلك هو من أوليات التطوير المؤسس، علمًا بأن أَولى المؤسسات بهذا الأمر الذي لا تتحقق الرعاية بدونه هو الأزهر الشريف.

إن آلام بعض المسلمين في العالم أمثال المسلمين في الفليبين وأريتريا والحبشة معروفة، ولكن المعلومات المتفرقة تؤكد وجود مآسٍ أخرى لا تقلّ عن مأساة هؤلاء في تايلند وسيام والمجر وغيرها.

وفي حدود مشاهداتي، لم يكن موقف المسلمين العرب وغيرهم تجاه محنة المسلمين في لبنان يتناسب مع عظمة المحنة، وكان هذا ناتجًا عن عدم معرفتهم بواقع الأحداث التي جرت في لبنان وتجري حتى الآن في جنوبه.

إن وضع المذاهب الإسلامية في أقطار العالم يجب أن يتعالج بسماحة وجدّية كبيرتين، سيّما بالنسبة إلى أولئك الذين انحرفوا عن أركان الإسلام بسبب بُعدهم عن ظهور مبتدعين بينهم.

إنني لا أعرف حتى الآن اهتمامًا بالمستوى المطلوب بهؤلاء الناس أبدًا، اللهم إلّا طرد البعض لهم، وقبول الآخرين دون علاج لأمرهم، وذلك رغم تعطّشهم الكبير لتصحيح أفكارهم، والشوق إلى التلاقي مع إخوتهم في الدين.

إن المؤسسات المعنيّة بشؤون المسلمين من مؤتمرات ومراكز ثقافية وغيرها أصبحت كثيرة، وهناك نشاطات واسعة يقوم بها الأفراد. ولقد آن الأوان لأن يصبح مجمع البحوث هو الهيئة القيادية العليا التي تتمثل فيها المؤسسات والمؤتمرات الإسلامية، وهذا الأمر يتطلب تخصيص هيئة من كبار علماء المسلمين ومن أعضاء المجمع أو المؤتمر أو من غيرهم وبتكليف من المجمع للقضايا العلمية، وتفرّغ المجمع وأمانته العامة للقيام بمهمّة رعاية المسلمين في العالم ودرس أحوالهم وتتبّعها، وعند ذلك يصبح المؤتمر هذا هيئة عامة، ويصبح المجمع المتفرّع أمانة عامة دائمة.

وغنيّ عن القول إن الجميع حسب هذا الطرح يبقى على صلة دائمة بأعضاء المؤتمر وبغيرهم لادّخار المعلومات التي ترده بانتظام، وبتبويبها، وإرسال تقارير بشأنها.

ومن أهمّ الأعمال المطلوبة من مثل هذه الهيئة القيادية هو تنسيق النشاطات التي تصدر في العالم، لكي لا يُطبع كتاب أو يُترجم مرّات مختلفة، بل يزوّد المجمع سائر المؤسسات في العالم بذلك، توفيرًا للطاقات وتوجيهًا نحو الفراغات.

وحول المؤتمر وقراراته: لا بدّ من وقفة جريئة مخلصة، ومن السعي لعدم إصدار قرار - أيّ قرار- أكثر من مرّة، ومن البحث حول الأسباب التي منعت تنفيذ القرارات التي صدرت مرارًا منذ المؤتمر الأول، ومن الامتناع عن إصدار أيّة قرارات دون توفير شروط تنفيذها، وإلّا فليكتفِ المؤتمر بإصدار فتوى أو توصية.

محطات تاريخية في سيرة سماحة

الإمام السيد موسى الصدر (أعاده الله وأخويه)

وُلد في 4 حزيران 1928 في قُمّ وأُخفِيَ قسرًا في 31 آب 1978 في ليبيا.

1928

4 حزيران: وُلد الإمام السيد موسى الصدر في مدينة قُمّ-إيران، من عائلة من كبار العلماء العاملين التي تعود جذورها إلى السيد صالح شرف الدين من قرية شحور العاملية في جنوب لبنان وإلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، والده المرجع آية الله السيد صدر الدين الصدر ووالدته السيدة صفية القمّيّ كريمة المرجع آية الله العظمى السيد حسين القمّيّ.

1934

تلقى علومه الابتدائية وأنهى دراسته الثانوية في مدارس قُمّ في العام 1947.

1941

دخل الحوزة العلمية وتابع تحصيل العلوم الفقهية وتدريسها وصولًا إلى درجة الاجتهاد في مدينة قُمّ المقدسة في العام 1954، دون أن ينقطع عن علومه المدرسية.

1942

نشر وهو في سن الرابعة عشر مقالًا تحت عنوان "إلى متى العذاب" في جريدة "استوار" باللغة الفارسية لشرح آلام وآمال الشعب الإيراني.

1950

التحق بجامعة طهران، كلية الحقوق، وكان من أوائل المعمّمين الذين تلقوا العلوم الحديثة في الجامعة وتخرّج حاملًا إجازة في الاقتصاد السياسي، كما استمر في الدراسة والتدريس في الحوزة.

1953

عمل مع آخرين من الشباب الجامعي على التصدي للدعاوى الرائجة آنذاك المعادية للإسلام كالماركسية وغيرها. كان من المتابعين لحركة تأميم النفط 1952.

1954

سافر إلى النجف الأشرف لمتابعة تحصيل العلوم الدينية العليا، وشارك في "جمعية منتدى النشر" وأصبح عضوًا في هيئتها العلمية، والتي كان من اهتماماتها عقد الندوات الثقافية ونشر أبحاثها ودراساتها.

1955

تزوّج من السيدة باروين خليلي كريمة الشيخ عزيز الله خليلي ورُزِقَ منها أربعة أولاد هم: السادة صدر الدين (1956) وحميد (1959) وحوراء (1962) ومليحة (1971).

زارَ مدينة صور-لبنان للمرة الأولى تلبية لدعوة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، والذي وصّى به خلفًا له، وأعاد الزيارة مرة ثانية سنة 1957.

1958

عاد إلى حوزة قُمّ العلمية وشارك في تأسيس مجلة "مكتب إسلام" كما تولى رئاسة تحريرها، وله فيها مقالات عدة. وكان لهذه المجلة، وهي أول مجلة ثقافية إسلامية صدرت في الحوزة العلمية في مدينة قُمّ، أثر مميز في تشكيل الوعي النهضوي في إيران.

1959

شارك مع آخرين (منهم: آية الله السيد محمد بهشتي، آية الله الشيخ أحمد آذري قمي، آية الله السيد ناصر مكارم الشيرازي) في تدوين مشروع إصلاح المناهج العلمية في الحوزة.

قدم إلى مدينة صور-لبنان حيث خَلَفَ فيها الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (قدس) كعالم دين، وذلك بطلب من المؤمنين في لبنان وبتشجيع ومباركة من المراجع العِظام في النجف وقمّ وخاصة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد حسين البروجردي (قدس).

1961

أطلق عمله الاجتماعي المؤسساتي بدءًا بإعادة تنظيم هيكلية "جمعية البرّ والإحسان"، ومرورًا بإنشاء مؤسسات عامة تعنى بالشؤون التربوية، المهنية، الصحية، الاجتماعية والدينية. وقد أثمرت هذه النشاطات إنجازات عديدة، منها: إلقاء مئات المحاضرات في المراكز والمعاهد بهدف التوعية الاجتماعية والدينية، إعطاء المرأة دورًا أساسيًا في العمل الاجتماعي والتنموي بدءًا باستحداث دورات محو الأمية، القضاء على ظاهرة التسول في مدينة صور وضواحيها من خلال مشروع دعم يتضمن برامج صحية، اجتماعية وإنشاء صندوق الصدقة، ومؤسسة جبل عامل المهنية وأُسْنِدتْ إدارتها إلى الشهيد الدكتور مصطفى شمران وكان لها الدور الأساسي في تخريج المجاهدين الذين تصدوا للاعتداءات الإسرائيلية منذ بداياتها.

أرسل موافقة خطية أكد فيها جواز تسهيل إصدار قانون نقل الأعضاء لوزير الصحة صلاح سلمان، الذي سعى إلى إقرار هذا المشروع بعد إجراء أول عملية زرع كلوة في لبنان وبعد تبيّن نقص في القوانين التي ترعى نقل الأعضاء.

1963

8 حزيران: شارك في قداس أقيم في صور عن روح قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين، وأبهر الحضور عندما أخذ يشرح رسالة البابا الراحل "السلام على الأرض" عن علاقة الإنسان بالدين.

6 تموز: حَضَرَ مراسم تتويج قداسة البابا بولس السادس وكان رجل الدين المسلم الوحيد الحاضر في هذه المناسبة. وساهمت لقاءاته في الفاتيكان وعرضه لمعاناة الشعب الإيراني وعلماء

الدين في ظل حكم الشاه في إطلاق سراح الإمام الخميني من سجنه.

21 آب: أعلن وبعد عودته من جولة قام بها في أوروبا واستمرت شهرين، أن هدف رحلته كان التعرف على الحضارات الجديدة والوقوف على مجالات التقدم فيها لجهة تطوير مناهج وأساليب العمل في المؤسسات الخيرية والاجتماعية.

1964

6 نيسان: باشر التعاون والعمل المشترك مع "الندوة اللبنانية" التي أشرف عليها الأستاذ ميشال أسمر، وساهمت في الحوار وبناء العلاقات وارتقاء الفكر وفتح الجسور الاجتماعية والدينية والسياسية، وضمّت العديد من الشخصيات الفكرية والثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية من الطوائف اللبنانية كافة، وألقى فيها محاضرات عدة منها: "الإسلام وثقافة القرن العشرين".

1965

31 تموز: استَعَادَ جنسيته اللبنانية بناءً على مرسوم جمهوري أصدره الرئيس فؤاد شهاب.

1966

حزيران: صدَّر لترجمة كتاب "تاريخ الفلسفة الإسلامية" للمستشرق هنري كوربان.

30 حزيران: ألقى كلمة "الحرية لا تُصان إلّا بالحرية" في تأبين الصحافي كامل مروة.

15 آب: عقد مؤتمرًا صحفيًا بيّن فيه الأسباب الموجبة لتنظيم الطائفة الشيعية وذلك بعد دراسات واستشارات وتحركات مكثفة ما أدى إلى إقرار مجلس النواب قانون إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام 1967. كانت هذه الخطوة مقدمة لحركة مطلبية إنمائية لبنانية عامة.

1967

26 كانون ثانٍ: بدأ جولة على أفريقيا للتعرف على الجالية اللبنانية وتفقد شؤونها والعمل على ربطهم بوطنهم، كما التقى بالرئيس العاجي أُفويه بوانييه وبالرئيس السنغالي ليوبولد سنغور وقدّم لهذا الأخير بإسم الجالية اللبنانية مساعدة رمزية للأيتام في السنغال. أثنى سنغور على بادرة

الإمام مشيرًا إلى أنه يتتبع بكلّ اهتمام نشاطاته التي كان لها التأثير الكبير في بثّ شعور المحبة والإيمان بين المواطنين.

8 شباط: قدَّم بحثًا إلى الجامعة الأميركية تحت عنوان "الإسلام وكرامة الإنسان"، ضمن سلسلة محاضرات بعنوان: "حول الله والإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر" بمناسبة العيد المئوي للجامعة الأميركية.

15 أيار: حاضر في جامعة دكّار أثناء زيارته إلى السنغال تحت عنوان "الجانب الاجتماعي في الإسلام"، بحضور مؤسسة طلبة المسلمين في دكار ولفيف من الجالية اللبنانية.

19 كانون أول: كتب مقدمة "حكاية العلم والدين" لكتاب "العلوم الطبيعية في القرآن" للكاتب الدكتور يوسف مروة وفيها شرح التلاقي بين العلوم والدين.

1968

أيار: حاضر في جامعة ستراسبورغ في فرنسا تحت عنوان "الشيعة الإمامية".

22 أيلول: صدَّر كتاب "فاطمة الزهراء وتر في غمد" للأديب سليمان كتاني، والذي فاز بالجائزة الأولى في مسابقة عن السيدة الزهراء في النجف الأشرف.

16 كانون أول: فَتَحَ باب التبرُّع للثورة الفلسطينية بإقامته حفل إفطار رمضاني وسبق ذلك استحصاله على فتوى من المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم بجواز صرف الحقوق الشرعية لدعم المقاومة.

1969

22 أيار: انتُخِب للمرة الأولى رئيسًا للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وأعلن برنامج العمل لهذا المجلس.

29 أيار: من جهة أخرى أعلن أن الطوائف المتعددة في لبنان نوافذ حضارية على جميع العالم وأكّد على التفاعل والعيش المشترك بينها.

22 آب: وجَّه نداءً إلى المسلمين والمسيحيين والعرب تعليقًا على جريمة إحراق المسجد الأقصى في القدس المحتلة من قِبَل الصهاينة.

1 تشرين أول: وجّه رسالة إلى مفتي الجمهورية اللبنانية فضيلة الشيخ حسن خالد، دعا فيها إلى جمع الكلمة لتوحيد الطاقات ولتنمية الكفاءات، واقترح عليه البدء بالعمل على توحيد الشعائر العبادية الإسلامية تمهيدًا للهدف الأسمى وهو الوحدة في الفقه، والمساعي المشتركة والموقف الموحّد في قضايا المسلمين عامة ولبنان خاصةً. وعليه، فقد تضمنت الرسالة اقتراحًا واضحًا بالاعتماد على الطرق العلميّة الحديثة لاكتشاف وجود الهلال في الأفق في زاوية محددة توصلًا لتحديد يوم العيد بصورة دقيقة.

1970

29 كانون ثانٍ: استأنف حملة تعبوية إعلامية للدفاع عن الجنوب في وجه الاعتداءات الإسرائيلية مطالبًا بتسليح المواطنين وتدريبهم للدفاع، ووضع قانون خدمة العلم، وتنفيذ مشاريع إنمائية مع دعوة الناس للصمود في قراهم وعدم النزوح.

7 آذار: انتُخبَ عضوًا دائمًا في المجلس الدائم لمؤتمر مجمع البحوث العلمية الإسلامية.

11 آذار: استقبل الرئيس المصري جمال عبد الناصر في منزله سماحة الإمام الصدر لمدة تزيد على ثلاث ساعات، وتمحور اللقاء حسب ما أبرزته كبرى الصحف المصرية عن قضايا الأمة العربية والإسلامية الراهنة لجهة تمتين الوحدة الإسلامية والعربية في سبيل توحيد الجهود في مواجهة العدوانية الصهيونية وتحرير فلسطين، كما وتمتين الوحدة اللبنانية والحرص على تأكيد تنظيم العلاقات بين لبنان والمقاومة الفلسطينية. وكان لهذا اللقاء الأثر الفاعل لاحقًا في هذه الأطر حيث أبرزت كبرى الصحف أن الرئيس عبد الناصر ودّع سماحة الإمام الصدر إلى باب سيارته مع تمنٍ عليه تمديد زيارته أسبوعًا للاحتفاء به.

20 أيار: أسّس "هيئة نصرة الجنوب" بمشاركة رؤساء الطوائف اللبنانية في الجنوب، وذلك لتدارس الأخطار المحدقة بهذه المنطقة، ومواجهتها.

26 أيار: دعا إلى إضراب سلمي وطني عام شمل لبنان بمناطقه كافةً تضامنًا مع فكرته الداعية إلى وقوف كلّ لبنان مع جنوبه في سبيل تعزيز صموده في وجه العدوانية الصهيونية الإسرائيلية. فاجتمع مجلس النواب وأصدر قرارًا بإنشاء "مجلس الجنوب" نتيجة لهذا الإضراب وبهدف تنمية الجنوب ورفع الحرمان عنه.

10 آب: قام بجولة على بعض العواصم الأوروبية دعمًا للقضية الفلسطينية، وعقد مؤتمرًا صحفيًا في مدينة بون-ألمانيا الاتحادية في المقر التمثيلي للجامعة العربية، أوضح فيه حقيقة القضية الفلسطينية وندّد بمحاولات تهويد المدينة المقدسة.

30 آب: في مقابلة صحافية في فرنسا قال: "إن مأساة فلسطين لطخة سوداء في الضمير العالمي، وإن نضال الشعب الفلسطيني هو دفاع عن الأديان وعن قداسة القدس، وإن إسرائيل دولة عنصرية توسعية، وإن لبنان بتعايش الأديان فيه ضرورة دينية حضارية".

2 تشرين أول: شارك في تشييع الرئيس المصري جمال عبد الناصر، والذي رأى فيه الإمام وحدة وآمال الأمة الإسلامية

1971

2 آذار: ألقى محاضرة في كلية الشريعة في جامعة القرويين في مدينة فاس-المغرب (بدعوة من الملك الحسن الثاني) ضمن فعاليات سنوية، أطل فيها على المراكز والمؤسسات الدينية والثقافية في العالمين الإسلامي والعربي.

29 آذار: شارك في القاهرة في المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية وقدّم بحثًا بعنوان "رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية".

2 نيسان: زار جبهة السويس وأمضى فيها عدة أسابيع حيث اجتمع إلى العسكريين، وأمَّ الصلاة في أحد مساجد المدينة، ودعا إلى وجوب التمسك بالدين وإعلان الجهاد المقدس في سبيل تحرير فلسطين، كما اقترح مشروع "سندات الجهاد" لتفعيل المشاركة على المستويات الشعبية كافة في الجهاد لتحرير الأراضي المقدسة.

15 أيار: استقبل مفتي آسيا الوسطى وكازاخستان فضيلة الشيخ ضياء الدين باباخانوف والوفد المرافق له أثناء زيارتهم لبنان.

28 حزيران: أرسل المخرج والمنتج مصطفى العقاد رسالة إلى الإمام الصدر لمراجعة نص سيناريو فيلم "محمد رسول الله"، وصدر على إثرها موافقة رسمية من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بعد إدخال تعديلات على النص.

23 تموز: أكد خلال حوار صحفي أن وجود الطوائف في لبنان خير مطلق، أما النظام الطائفي فشرٌّ مطلق أعطاه الإقطاع السياسي لون القداسة، ولذلك طالب بإلغائه.

20 أيلول: على إثر العدوان الإسرائيلي على الجنوب، طالب بوجوب تأمين وسائل الدفاع الحديثة وتعميم الملاجئ وتحصين القرى.

1 كانون أوّل: وجّه رسالة إلى القس البريطاني هيربرت أدامز حول حقيقة وضع الإنسان في منطقة الشرق الأوسط، وضمّنها نداءً إلى مسيحيي العالم دعاهم فيه إلى التيقظ لخطورة ما يجري في فلسطين.

1972

20 أيلول: أصدر الإمام الصدر تصريحًا في بلدة جويا-جنوب لبنان، حول الأخطار المترتبة على تزايد الاعتداءات الإسرائيلية على الجنوب. ودعمًا لصمود الجنوبيين كثّف الإمام الصدر تحركاته السياسية والإعلامية عبر: إصدار بيانات للرأي العام الوطني والعالمي، إلقاء المحاضرات والخطب في المساجد والكنائس والجامعات محذرًا من النتائج المترتبة على إهمال الدولة لتحمل مسؤولياتها تجاه الدفاع عن الجنوب وتنمية المناطق المحرومة.

24 تشرين ثانٍ: زار الاتحاد السوفياتي على رأس وفد من علماء الشيعة، بدعوة من مفتي آسيا الوسطى وكازاخستان فضيلة الشيخ ضياء الدين باباخانوف، وصلى في جامع موسكو الكبير بحضور ألوف من المصلّين، وتحدث عن الشرق وأوضاعه واعتداءات إسرائيل وأطماعها فيه.

1973

20 أيار: أعلن في خطبة الجمعة أن السعي لتحرير فلسطين سعي لإنقاذ المقدسات الإسلامية والمسيحية وسعي لتحرير الإنسان، كما أنه نادى بعدم تشويه سمعة الله في الأرض، لأن الصهيونية بتصرفاتها تشوّه سمعة الله.

30 حزيران: دعا إلى اعتماد النظام المدني المؤمن كبديل عن النظامين الطائفي والعلماني.

10 تموز: شارك في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي في مدينة "تيزي أوزو" في الجزائر حيث ألقى بحثًا تحت عنوان "روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي".

9 تشرين أوّل: دعا إلى الجهاد عند اندلاع حرب رمضان، وقاد حملة تبرعات لنصرة المجاهدين.

1974

17 آذار: أقسم مئة ألف شخص معه في مهرجان بعلبك على عدم الهدوء حتى لا يبقى محروم أو منطقة محرومة في لبنان وأدّى ذلك إلى ولادة "حركة المحرومين".

26 نيسان: قدّم بحثًا تحت عنوان "الإمامة وعاشوراء" بدعوة من طلاب مدرسة الآداب العليا ضمن ندوة دراسية تحدث فيها عن معاني الشهادة وارتباطها بمعركة الحق ضد الباطل.

5 أيار: أقسم مئة وخمسون ألف شخص في مهرجان صور على متابعة المطالبة بحقوق جميع المحرومين.

20 تشرين ثانٍ: صدرت "وثيقة المثقفين" المؤيدين لحركة الإمام الصدر المطلبية التي وقعتها 191 شخصية من قادة الرأي والفكر في لبنان، يمثّلون الفئات والطوائف اللبنانية كافة.

1975

18 شباط: ألقى عظة الصوم في كنيسة الآباء الكبوشيين تحت عنوان "الإنسان في حاجاته وكفاءاته"، حيث كان أول رجل دين مسلم يُلقي عظة في كنيسة.

7 آذار: صلّى على جثمان الشهيد معروف سعد في الجامع العمري في صيدا.

29 آذار: في اجتماع الهيئة العامة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بويع كرئيس للمجلس مدى الحياة بناءً على تعديلات المواد في قانون المجلس.

14 نيسان: بادر إلى بذل المساعي والجهود لدى مختلف الأفرقاء لوأد الفتنة وتهدئة الوضع في لبنان، فوجَّه النداء تلو النداء محذِّرًا من مؤامرات العدو ومخططات الفتنة، ودعا اللبنانيين لحفظ وطنهم وفي قلبه مكان للثورة الفلسطينية.

20 نيسان: شكَّل "اللجنة التهدئة الوطنية" والتي عُرفت بلجنة الـ 77 محدِّدًا خطوط تحركها العريضة بالمحافظة على التعايش واعتماد الحوار والوسائل الديمقراطية لتحقيق الإصلاحات ووجوب المحافظة على الثورة الفلسطينية، وكان أعضاؤها يمثلون القوى السياسية والطائفية والمناطقية على مستوى لبنان كافة.

27 حزيران: احتجاجًا على استمرار الحرب الأهلية بدأ اعتصامًا في مسجد الصفا في الكليّة العاملية-بيروت متعبدًا صائمًا وأنهاه في الأول من تموز بعد اشتداد المعارك في منطقة بعلبك-الهرمل موجّهًا نداءً إلى أهالي المنطقة وفي السياق تمّ تشكيل حكومة مصالحة وطنية تبنَّت مطالبه الشعبية. وتوجَّه بعدها إلى قرى القاع ودير الأحمر وشليفا في البقاع لفك الحصار عنها ووأد الفتنة الطائفية.

6 تموز: أعلن عن ولادة "أفواج المقاومة اللبنانية-أمل" في مؤتمر صحفي عقده لأداء دورها في تحرير الأرض والإنسان، بعد أن كانت قد خاضت معارك عدة ضد العدو الصهيوني.

26 تموز: ألقى بحثًا في الملتقى التاسع للفكر الإسلامي في تلمسان-الجزائر تحت عنوان "العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام وأوضاع الأمة الإسلامية اليوم"، حول مفهوم الرؤية الإسلامية للعدالة.

4 تشرين أول: دعا لعقد القمة الروحية لجميع رؤساء الطوائف اللبنانية في مقر البطريركية المارونية في بكركي، والتي كان لها أثر في تخفيف الاحتقان.

21 كانون أول: حذَّر في خطبة ألقاها في نادي الإمام الصادق في صور من أخطار ثلاثة ودعا إلى التصدي لها مهما كلّف الأمر: خطر التقسيم لأن التقسيم إسرائيل ثانية في قلب الوطن؛

وخطر الاعتداءات الإسرائيلية الذي يجب علينا وجوبًا شرعيًا وتاريخيًا ووطنيًا أن نقف للتصدي لها؛ وخطر تصفية المقاومة الفلسطينية. إن إسرائيل شرّ مطلق وخطر على العرب مسلمين ومسيحيين وعلى الحرية والكرامة.

1976

31 آذار: عمل جاهدًا على تقريب وجهات النظر بين القيادة السورية وقيادة المقاومة الفلسطينية مؤكدًا أن ذلك قدرهما، وأن الصدام بينهما سيؤدي إلى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة، وإلحاق الضرر بسورية والقضية العربية وأن المستفيد الوحيد من كلّ هذا هو إسرائيل.

14 أيار: شارك في اجتماعات القمة الإسلامية اللبنانية في بلدة عرمون التي وافقت على "الوثيقة الدستورية" التي أعلنها رئيس الجمهورية سليمان فرنجية، واعتبرها مدخلًا للسلام والوفاق الوطني في لبنان.

23 أيار: عارض بشدة الدعوة إلى العلمنة والإدارات المحلية، واعتبر أنها تسلب الجماهير المؤمنة مكاسبها وتعبِّر عن ذهنية انفصالية تمهّد لتقسيم الوطن.

تشرين أول: بذل الإمام جهودًا مكثفة مع الزعماء العرب في محاولة لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية، كان نتيجتها انعقاد مؤتمر الرياض 16 تشرين أول وقمة القاهرة 25 تشرين أول ودخول قوات الردع العربية إلى لبنان.

1977

17 كانون ثانٍ: أكّد أن لبنان ضرورة حضارية للعالم، وأن التعايش اللبناني هو ميزة لبنان الخاصة، وأن السلام لقاء تاريخي محتوم بين الإسلام والمسيحية.

11 أيار: تقدَّم بورقة عمل تحمل مقترحات حول الإصلاحات السياسية والاجتماعية تدعو إلى إعادة بناء الوطن ومؤسساته متمسكًا بصيغة العيش المشترك ومواجهة الخطر الصهيوني، وأكّد فيها أن "لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه".

14 آب: في مهرجان أُقيم بمناسبة مرور أربعين يومًا على استشهاد الدكتور علي شريعتي، أحد أبرز المفكرين الإسلاميين تأثيرًا في إيران، جدَّد دعمه للحركة الإسلامية في إيران.

1978

13 شباط: قام بجولة على السنغال وشاطئ العاج لتفقد الجالية اللبنانية ولافتتاح عدد من المشاريع الدينية والاجتماعية.

18 آذار: وصل إلى لبنان بعد أن قطع جولته بسبب الاجتياح الإسرائيلي للبنان ليل 14-15.

23 آب: نشر مقالًا في صحيفة "لوموند" الفرنسية حول تعاظم الانتفاضة الشعبية في إيران تحت عنوان "نداء الأنبياء".

25 آب: جَالَ على عدد من الرؤساء والملوك العرب إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان حيث وصل وأخويه فضيلة الشيخ محمد يعقوب والأستاذ الصحافي السيد عباس بدر الدين إلى طرابلس-ليبيا في 25 آب تلبية لدعوة رسمية من سلطاتها العليا وحُجزَ وأُخفِي قسرًا من بعد ظهر 31 آب وحتى اليوم.

ادعت ليبيا أن ضيوفها تركوا الأراضي الليبية متجهين إلى إيطاليا. كذَّب كِلا القضاءين الإيطالي واللبناني هذا الادعاء بعد تحقيقات مطولة ونفيا دخول أيّ من الثلاثة موانئ إيطاليا البحرية والبرية والجوية.

منذ ذلك اليوم، تبحث عائلة الإمام وأصدقاءه ومحبيه عن وضع نهاية للإخفاء القسري للإمام وأخويه في ليبيا، بكلّ الوسائل وخاصة القانونية والقضائية المتاحة.

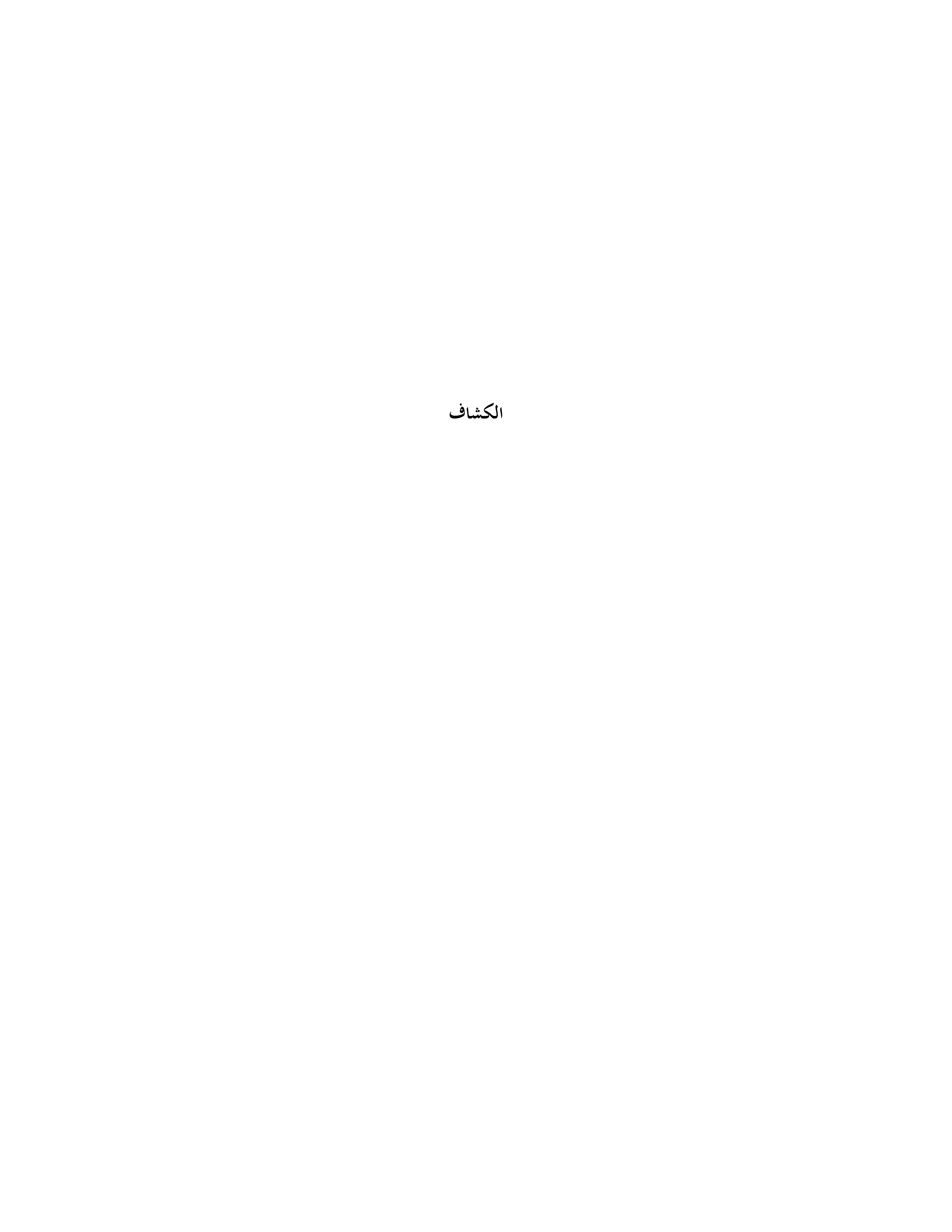
هذا التحرك والمتابعة المستمرة والحثيثة للعائلة وبدون كلل، خاصة عبر القنوات الرسمية والقضائية اللبنانية والإيطالية وغيرها، أحبطت مقاومة النظام الليبي السابق ليعترف القذافي بجريمة خطفه للإمام ورفيقيه في ليبيا.

ومنذ قيام الثورة، والوضع السياسي المتأزّم يزيد من صعوبة الوصول إلى النتيجة المرجوة رغم وعود السلطات الليبية الجديدة بالتعاون مع السلطات اللبنانية في هذه القضية.

ولكن جهود عائلة الإمام وأصدقائه، مدعومة من بعض السلطات اللبنانية العليا ذات الصلة، لن تتوقف حتى تحرير الإمام وأخويه وعودتهم سالمين إلى بلدهم.

مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

بيروت 31 آب 2019



الكشاف

-أ-

-ب-

بيروت (منطقة): 128

-ت-

-ث-

-ج-

-ح-

الحياة: 9، 11، 17، 19، 42، 43، 54، 57، 77، 78، 88، 89، 102، 106، 113، 122، 151، 160، 161، 167، 184، 186، 189، 194

الحياة الزوجية: 164

-خ-

-د-

-ذ-

-ر-

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ظ-

-ع-

-غ-

-ف-

-ق-

-ك-

-ل-

-م-

-ن-

نيكسون (ريتشارد): 97

النيل: 38

-هـ-

-و-

-ي-

المحتويات

Notes

[1←]
محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ 17 تشرين ثانٍ 1970

[2←]
محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ 24 تشرين ثانٍ 1970

[3←]
محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ 1 كانون أول 1970

[4←]
الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة للملّا صدر الدين الشيرازي

[5←]
محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ 19 كانون أول 1970

[6←]
محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ 8 كانون أول 1970

[7←]
رسالة أرسلها إثر انتخابه رئيسًا للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إلى مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد بتاريخ 1 تشرين أول 1969

[8←]
بحث قدمه المؤتمر الثامن في مجمع البحوث الإسلامية المنعقد القاهرة بتاريخ 22 تشرين أول 1977